

يَوْمٌ وَمَمْلَكَةٌ

الجزء الأول

عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

© عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله.

يوم وملك - الرياض.

١٩٢ ص: ١٤,٥ × ٢١ سم

ردمك: ٩٩٦٠-٩٠٤٨-١-٤

١- السعودية - اليوم الوطني

١- العنوان

١٨/٠٤٢٤

٢- السعودية - تاريخ - الملك عبدالعزيز

ديوي ٩٥٣,١٠٥

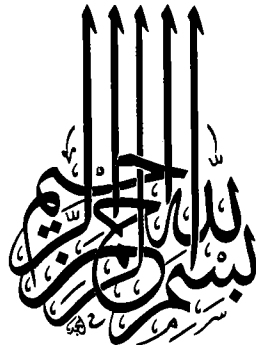
رقم الإيداع: ١٨/٠٤٢٤

ردمك: ٩٩٦٠-٩٠٤٨-١-٤

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤١٨هـ



مقدمة الطبعة الثالثة..

عرّفت المقدمة للطبعة الأولى القارئ بيوم
وملك، وأبانت أساسه، وأوضحت مراميه،
وأنه مقالات خرجت تباعاً في الصحف، على
سنوات متعددة، متتالية، بمناسبة اليوم
الوطني، تكشف عن بعض الجوانب من جهود
الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لتوحيد المملكة،
ووضع الأسس للحكم، ورسم الخطط للحاضر
والمستقبل، والمحت إلى ما أنجز في زمن الملك
عبدالعزیز، وما أنجز بعد ذلك، وما يتطلع إلى
إنجازه، انطلاقاً من التجربة، والنية، والعزم،
من أبنائه الذين تعاقبوا على الحكم، فأشادوا
البناء، ووضعوا البنات الخير واحدة تتلو الأخرى،
حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه مما نحمد الله عليه .

«ويوم . . وملك» باب يتحمل التوسع في

سيرة الملك عبدالعزيز، وفي تاريخ المملكة،
ويقبل أن يكون أجزاءً، تستمر تعبق بما يفوح
من تاريخ زاهر، وهذا الجزء الذي بين أيدينا
سوف يكون، إن شاء الله، الجزء الأول، ويتلوه
تدرجاً، وحسب الجهد أجزاء أخرى، وسوف
تركز على أمر رأيته محموداً، وهو استشفاف
المعلومات من الرسائل التي يملئها الملك
عبدالعزيز، أو الرسائل التي ترسل له، أو
الرسائل التي كانت تتبادل عنه في زمنه، من
رجال المحيطين به، أو التابعين له في مسؤوليات
حددها لهم، أو من أحد من رعيته، يلمس في
رسالته جانباً من جوانب الحياة كالتجارة، أو
غيرها.

ورسائل الملك عبدالعزيز، وأمثالها، وثائق
ناطقة صادقة، فيما تحكيه، وفي ما تصوّره من
صور ترسم واقع الأمور في تلك الفترة، وسوف

تكون متنوعة، لأنها صور جمعت من أماكن متفرقة، وفي أزمان مختلفة، وقد لا تأتي بالأمر متكاملًا في موضوع من المواضيع التي تلمسها، ولكنها ستضيء الجانب الذي نتحدث عنه، وسوف توفيه حقه بقدر الإمكان، وسوف يبقى للقارئ مجال لتصور ما هو أكثر مما قد يأتي في الشرح.

الوثائق أمانة في يد من هي في يده، وحجبها قد يلحق بالعاقل إثماً، وقد يجرم كاتبها، أو ممليها، قول قارئ: جزاه الله خيراً؛ وقد تحجب عن باحث نوراً ساطعاً، لو لم يحجب لأضاء جانباً مهماً، بقي مظلماً، مجهولاً، دون داع.

وسوف يكون الشرح، عندما يحتاج الأمر إلى شرح، اجتهاداً في حدود الإدراك الشخصي، والمعرفة العامة بالأمور، التي تلمس ذلك الزمن، وتحيط ببعض مظاهره.

والوثائق مصادر ثرة للدراسة من جوانب عديدة، منها ما هو بالغ الأهمية، لقوة الوطنية، وربط الحاضر بالماضي، ومعرفة الثمن الغالي، الذي أنفق على تكوين هذا الكيان، والدم الزاكي، الذي دفع على أديم هذه الأرض، والمعاناة المتناهية، من جيل آبائنا، لبناء هذا الصرح، الذي نستظل بظله، تحت كلاءة الله، وحفظه.

ومنها ما هو مهم للمتخصص في الجوانب المختلفة، مما تأتي به الرسائل، من نوع الخط، وما يكشف عنه من مدى ثقافة الكتاب، وفهمهم فيما وكل إليهم، ومدى حظهم من التعليم، والدرجة التي وصلوا إليها، مما قد يشع نوراً يكشف مدى معاناة الحاكم من قلة المتعلمين، وضآلة تعليمهم، أو اقتصار التعليم على ما هو مجزٍ في زمنهم، في حدود أغراض حياتهم، ومتطلباتهم.

ومنها ما هو مهم لمن أراد أن يتمعن في
الديباجة، ويقارن واحدة بأخرى، ويستشف
ما قد لا يستشفه إلا المثقف، ومن توصله هذه
الدراسة، والتمعن، والمقارنة، إلى ما قد لا يكون
متوقعاً قبلها. وقد يدهش الدارس المتمعن
من أسلوب الديباجة، الذي يبدأ بكل عبارات
التكريم: من المكرم إلى الأحشم، ولكن صلب
الخطاب رعود وبروق وتهديد. هنا تكمن
حضارة، تحتاج إلى وقفة وتمعن.

في هذا الجزء زيد ثلاث مقالات، كتبت هذا
العام بمناسبة اليوم الوطني، في أول الميزان،
واستحقت أن تلتئم مع سابقتها من مقالات
العام الماضي، وما قبله. والأجزاء التالية، إن
شاء الله، قد لا تحتاج أن تنتظر حتى اليوم
الوطني، فقد ترى النور قبله.

هذا وبالله التوفيق. عبدالعزيز الخويطر

مقدمة الطبعة الأولى

في ليلة مثل كثير من الليالي ، وفي لحظة مثل قليل من اللحظات ، أخذ رجل فذ خطوات أدت إلى عمل حاسم ، كان بدءاً لبناء صرح دولة سامق ، تنافس النجوم تلالؤها ، وتباهي السحب في علوها ؛ هذه الليلة هي ليلة اليوم الخامس من شوال ، واللحظة هي دقائق من هذه الليلة ، ودقائق من اليوم التالي لها ؛ والرجل الفذ هو الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود .

شاب مديد القامة ، مثل همته ، صلب العود ، مثل تصميمه ، قوي المتن ، مثل عزمه ؛ طموحه بعيد ، وهمته قعساء ، وتصميمه عنيد ، واندفاعه أكيد ؛ يرى فيقدم ، ويفكر فينفذ ، لا يهاب صعوبة ، ولا يعترف بعقبة ، ولا يخشى حدثاً ،

ولا يحجم عن موقف ؛ حازم حين يكون الحزم
عقلاً ، متأن حين يكون التأنى أوفق ؛ ذهنه لماح ،
وفكره صاف ؛ فراسته نافذة ، وحدثه قارح ؛
يتخلل نظره صدور الناس ، فيلمح في وجوههم
ما يدور في صدورهم ؛ له مقدرة القائد ، والإداري ،
ومعرفة الخبير المجرب ، وضع أمامه استعادة
ملك آبائه بأي ثمن ؛ فجازف بحياته ، رماها في
فم المخاطر ، وفي أتون الحوادث ؛ خطط فأقدم ،
ونفذ فأدهش ؛ امتشق السيف ، ورفع العلم ،
وقاد نخبة من مواطنين صالحين ، صادقين ،
تشبعوا بروحه ، وآمنوا بهدفه ، وباعوا نفوسهم ،
ليبنوا معه وطناً ، طالما رسم صورته في ذهنه ،
وأركب عليها خطوة . أخذته الحمية ، فخاطر ،
ونجح ، ووصل إلى هدفه .

انطلق مجد تأسيس المملكة العربية السعودية
لائحاً في الأفق منذ ذلك اليوم ، بزغت شمس

يوم، وبزغ نجم ملك. وقد أحاط التاريخ
هذا اليوم بالهالة التي يستحقها، لأنه من ذلك
المنطلق تكونت المملكة، وأقيمت دولة، ووجد
كيان، وتوحدت، بتلاحم صلب، أجزاء
كبرى من الجزيرة العربية، لترسم ببروز تام
على خريطة العالم، وليكون لها منطلق خير:
داخلي وخارجي؛ داخلي يرمي إلى بناء الوطن،
ومجتمعه، على أسس متينة، تتحمل أعباء تكوين
مملكة في هذا القرن المنير؛ وخارجي يرمي إلى
إبراز المملكة في المحافل الدولية، والمجتمعات
المؤثرة، ويوجد لها مكاناً بارحاً في الصفوف
الأولى، لتتمكن من المشاركة الدولية، فيما
ينفع المجتمع العالمي؛ ولتكون في المقدمة، كما
أثبتت الأيام، عندما تأتي الحاجة إلى المساهمة في
بلورة قرار دولي، أو نفع مادي، يخفف من
نزول الكوارث، وحلول النكبات، ويدفع

عجلة التقدم في المجالات المختلفة؛ فاستحقت
المملكة، بحضورها المقدر، ومشاركتها الفعالة،
أن تكون من بين الدول المؤسسة لهيئة دولية،
مثل الأمم المتحدة، وهي قمة الأجهزة العالمية
الجامعة.

نلتفت سنوياً إلى هذا اليوم، لنذكر جهاد
المجاهدين، ولنتدبر المواقف التي مروا بها،
حتى جاءت النتيجة التي ننعم اليوم في ظل ريفها
المغدق، ولنرى، أين نحن، وماذا أنجزنا،
وماذا وضعنا من اللبنة على الأساس القوي
الذي هيء لنا، ولنعرف ما هو واجبنا تجاه وطننا،
ولنفكر فيما علينا أن نعقد العزم لإنجازه،
حتى لا تقف العجلة، ولا يصدأ الحديد؛ فزمننا
زمن السير الحثيث، حتى لا يفوتنا الركب
الجاد في التقدم.

هذا اليوم حدده عبدالعزيز - عليه رحمة الله -

بفعله الباهر، وتضحيته المنقطعة النظير،
وشجاعته المتناهية؛ ومنذ ذلك اليوم، حتى
وفاته، وهو في كل يوم يضع لبنة على هذا
البناء؛ ثم انتقلت الأمانة إلى يد بنيه، فحملوا
العبء بجدارة، وقادوا السفينة بمقدرة ومهارة،
ولا يزالون يسيرون بالعربة في المسار الصحيح؛
مستفيدين من الإمكانيات المتاحة في هذا العصر
الحديث، حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه، مما
يرفع الرأس، ويعلي الهامة، ويسر الصديق.

وهذه المقدمة المختصرة هي لمقالات قيلت
عند حلول اليوم الوطني في بعض السنوات،
وهي في الحقيقة لا تحتاج إلى مقدمة، فكل مقالة
منها تصلح مقدمة للحديث عن هذا الملك
الفريد، وعن هذا اليوم المشهود؛ هل تفي
المقدمة، إذا ما طالت، بالحديث عن عبقرية
الملك عبدالعزيز بشعبها المتعددة؟ لا، لن

تفي ، وستعجز كما عجز غيرها من مطولات
الكتب ؛ هل تقتصر على جانب من شجاعته ؟
إذا لن توفى حقها ، أو هل تتحدث عن سياسته ؟
سوف يقصر الباع أن يأتي بما يرضي ؛ وسوف
تعجز عن أن توفي ذكاءه حقه ، وسوف تقصر
عن كشف قدرته على معرفة ما يدور في أذهان
الرجال الذين يخاطبهم ، أو يخاطبونه ، وسوف
تعجز عن أن تصف كفايته في مجال الإدارة
والتنظيم ، وتوفيق الله له في اختيار الرجال .
لقد كان الله معه يعضده في كل طريق سلكه ،
لأن هدفه نفع مواطنيه ، وإبعاد الأذى عنهم ؛
الأذى الذي قبل مجيئه كان يقف لهم في كل
مرصد ، ويتهددهم عند كل منحني ، وينتظرهم
في كل طريق ، هذا إن لم يدخل عليهم دورهم ،
حتى اختفى الأمن ، ولم يعد يذكر ؛ وعدمت
الطمأنينة ؛ فمن غارات البادية بعضها على

بعض ، إلى غاراتها على المدن ؛ ومن قتال المدن بعضها بعضاً ، إلى قطع السبل ، وإخافة المارة ، وقتل الأبرياء ؛ لم يسلم حاج ، ولا امرأة ، ولا صغير ولا مريض .

كان في ذهنه ، عندما هجم بسيف الحق على رقبة الباطل ، أن يقضي على هذا كله ، وقد أعانه الله للوصول إلى هدفه ، ووفقه إلى اتخاذ السبيل الصحيح لبلوغ أربه ، وأخذ بيده ، وأنجح قصده ، وسدد سهمه ، فحقق هذا المطلب العسير ، ووصل إلى بغيته الصعبة ؛ وأظهر أثناء سعيه هذا أنه ملك ، يتصرف تصرف الملوك ، وبرهن على ذلك ، إذ كان شديداً فيما يقتضي الشدة ، رحيماً فيما يقتضي الرحمة ، سريعاً فيما يتطلب السرعة ، متأنياً فيما يدعو إلى الأناة ؛ قوياً عندما يقتضي الأمر القوة ، ليناً فيما ينفع فيه اللين ؛ لم يكن يسير على نهج جامد ،

كان عنده لكل داء دواء، ولكل حال لبوسها،
لا يخلط ما لهذا بهذا.

كان، وهو الملك المسؤول أمام الله، شكراً
لنعمته عليه، يدهش الناس بتصرفه، فكثيراً
ما اتخذ من القرارات ما ظن من حوله أنه جانبه
الصواب فيها، فتثبت الأيام أنه كان على حق،
وأنه كان بعيد النظر، وأن نظرهم قصير؛ لقد
كان يفكر بذهن الراعي، وكانوا هم يفكرون
بذهن الرعية، هو يفكر بذهن ملك، وهم
يفكرون بذهن غير الملك. كان عندما يأتي
عملاً يضع أوامر الله أمام عينيه، لأنه متيقن
من سرعة ثوابه، وشدة عقابه.

الذين عرفوا قدره، وقد روا جهاده، هم
الجيل الذين عاصروا زمن الاضطراب، ثم
استطعموا حلاوة الطمأنينة، وهم الذين كابدوا
الموت لذويهم، والخوف لأنفسهم، وتعرضوا

للذل والمهانة ؛ ويلي هؤلاء ، في إدراك قدر هذا
الجهد ، مَنْ سَمِعَ بأخبار ذلك الزمن عن قرب
منه ، ومن أهواله ، وسمع هذه الأخبار قبل أن
يجف أديمها ، ويبعث أثرها ؛ كان من هذا
الجيل الثاني من فقد أباه صغيراً في معركة غير
عادلة ، أو في موقع ظلم ، أو حادث جور .

هذا اليوم رمز لكيان ، شعلة فوق علم ،
لسان فصيح ، يتحدث عما مر ، وبما كان ، وما
صار ، هو منار يبرز ضوؤه كل عام ، يذكرنا ،
كما قلت ، بما أنجزنا ، وما علينا إنجازه ،
ويكون مبعث سباق للفرد والجماعة ، في
التنافس على المحافظة على المتحقق ، والإضافة
إليه من كل جيل ، بما يجعل الفرد يستحق أن
يدعى مواطناً صالحاً .

هذا وبالله التوفيق .

عبدالعزیز الخویطر

يوم وملك^(١)

النجاح كلمة توحى بتوفر عوامل متكاتفه،
أوصلت إلى نتيجة مقصودة، ونجاح الملك
عبدالعزیز - رحمه الله - يوحى بتوفر صفات فيه،
استفاد منها، لاقتناص الملائم من الظروف،
وتسهيل غير الملائم، وتطويعه .

وكان عصره عصراً صعباً، من الناحية
السياسية، والناحية الاقتصادية، وهما الناحيتان،
اللتان كانتا من الأسباب الرئيسة في تلك الفترة
لجعل الأمر على الحاكم، إن توفرت، سهلاً،
أو صعباً إن لم تتوفر؛ ونجاحه رغم صعوبة الحال،
بسبب هاتين الناحيتين، يضيف إلى درجة،
إعجاب المؤرخ، الذي يقدم على تسجيل تاريخه،
وكشف جوانبه .

(١) نشرت بمناسبة اليوم الوطني في صحيفة «البلاد» في عام ١٣٩٤هـ .

وعوامل النجاح التي أشرت إليها عديدة،
ويمكن هنا الإشارة إلى بعضها:

١- صحة تقويمه للرجال، نتيجة دقة
ملاحظته للصفات البارزة فيهم، مما يجعله
يضعهم في المراكز التي يمكن أن تثمر فيها ميزاتهم،
فاللَّيْن في المكان الذي يحتاج الأمر فيه إلى لين،
والقوي في المكان الذي يحتاج الأمر فيه إلى
قوة، والإيجابي في المكان الذي يحتاج الأمر فيه
إلى الإيجاب، والسلبي في المكان الذي يحتاج
الأمر فيه إلى عدم الإيجاب، وسريع التصرف
في المكان الذي يحتاج فيه الأمر إلى نشاط وسرعة،
والمتأن في المكان الذي يحتاج فيه الأمر إلى أناة.

٢- رجحان العقل عنده على العاطفة،
فصوت العقل عنده واضح، ومسموع، والعاطفة
ملجمة بلجام، طرفه بيده، إن شاء شده، وإن
شاء أرخاه، وهذه ميزة جعلته في موقف،

استطاع من مشرفته ، أن يسير في مخطط توحيد الجزيرة ، والتغلب على منافسيه ، وعدم الغفلة عن بعض ما يظهره الأعداء من لين ، ولمس لأوتار العاطفة ، في حين أنهم يبيتون غير ما يظهرون ، فكان يظهر لهم تصديقه لما يظهرون ، ويبطن مخططاً يحميه من مكرهم ، ويعطيه الفرصة عند اللزوم أن يكون صاحب اليد العليا ، عندما يظهر المخبأ .

٣- الحنان المتناهي للصديق ، والوفاء في كل الأحوال ، والتخلق بالخلق الصادق ، المقدر في مجتمع المنطقة ، حتى لو كلفه هذا كثيراً . وهذه الميزة أكسبته منزلة في قلوب المجتمعات التي حكمها ، لأنها وجدت في خلقه ما يطمئنها إلى مستقبلها ، خاصة عندما يقارن ببعض معاصريه ، ومنافسيه ، ممن لم يكن يُعرف لمزاجهم قاعدة .

فكان في أوقات الحرب والسجال بينه وبين أعدائه، وفي أوقات المدّ والجزر في اكتساب المدن أو فقدانها، يلمس مقدار مدافعة سكان هذه المدن معه لأعدائه وأعدائهم، ويلمس عند محاولة استعادة ما فقد، لظرف أو آخر، سهولة عودتها إليه، نتيجة تقدير أهلها لخلقه.

٤ - شجاعته الباهرة في زمن كانت الشجاعة هدفاً يقتنص، فلم يكن موقفه إلا في أول الصفوف، وقد أعطاه الله مع جسارة الفؤاد بسطة الجسم وقوته، ولم يكن متهوراً في شجاعته، وإن كان مخاطراً إذا اقتضى الأمر إلى درجة يشفق عليه منها محبوه، وكان بهذا مثلاً لأبطال تربوا في كنفه الحربي، وأصبحوا أعضداً، يعتمد عليهم، عندما اتسعت رقعة الميادين الحربية.

٥ - تقديره للطاقة البشرية الثمينة؛ فمقدمة حياته اتصفت بالحروب، والكر، والفر،

والمباغطة، وتوقع المباغطة، وحصار المدن،
وفك الحصار، والاصطدام في معارك في ميادين
مكشوفة، وغارة ليل، وغزوات نهار، ومعارك
اعتمدت على الخيل، وأخرى على الجمال،
وثالثة على المشاة، وأخرى حوت بعض
هذه، وبعض تلك.

وفي كثير من هذه المعارك لا بد أنه كان يعرف
قيمة الجندي في نفسه، وقيمته في نضاله، وفي
الوصول إلى الهدف، الذي خطط أن يصل
إليه، ولأنه كان صاحب هدف آمن به، إيماناً
عميقاً، ولأنه كان يدرك قيمة الجندي المدرب،
المُجَرَّب، الْمُطْمَأَنَّ إلى ولائه، في الوسائل
المهمة في إنجاح العمل، الموصل إلى الهدف،
قدّره حق قدره، وحماه من التهور، ومن
المجازفة، التي لا تكون نتائجها متناسبة مع ما
بذل فيها، فكان لا يدخل معركة خاسرة،

وإذا أُجبر على هذا بما لا يستطيع دفعه، حاول
أن يجد الطريق للخروج منها بأقل الأضرار.
وهذا بجانب الفوائد الواضحة، أفاده في
ناحيتين:

الأولى: أن المعارك التي لم يكسبها قلّت.

الثانية: دفعت الجادين إلى الانضمام إلى
لوائه، والإخلاص له، لعلمهم بأن هذا الطريق
هو الموصل لهدف توحيد الجزيرة، وإنهاء سيل
الدم الجاري فيها، نتيجة التطاحن والتنازع،
ولعلمهم بأن حياتهم أسلم تحت لواء من يغلي
أرواحهم، فلا يزوج بها إلا فيما له قيمة،
ووراءه فائدة.

٦- كرهه للقتل، ومحاولته تفادي سفك
الدماء ما أمكن، وهذه ظاهرة تجعله مختلفاً عن
كثير من الحكام في زمنه، وهو زمن اتسم
برخص الأرواح، وسهولة سفك الدماء.

وهذا خفف من غلواء أعدائه، الذين كانوا يجدون في توقع عفوه ما يجعلهم يستسهلون الاستسلام له، بدلاً من محاولة المقاومة حتى الموت، وهو ما يكبده الكثير، وحوادث الذين استسلموا له أكثر من مرة بعد نقض العهد حوادث متعددة ومعروفة .

ونفعه هذا أيضاً بعد أن توطدت الأمور، واستقرت، وتوحدت الجزيرة، فلم تبقى في نفوس أعدائه أمس تارات، أو حزازات، أو أحقاد دفينّة، وكان لبعض من نأواه أمس مكانة عنده فيما بعد، يفتخرون بها، ويعتزون . وكان لبعضهم فيما بعد مواقف تشهد بعمق الولاء، والحب، والتقدير، والإكبار له .

٧- الذكاء الحاد . وكان ذكاءً أفطرياً، صقلته التجارب، وأنضجته الأيام، فساعده هذا على معرفة مجتمعه، وسياسته له سياسة متميزة .

وذكاءه الطبيعي هذا أدهش الكثيرين حوله ،
وَمَنْ هُمْ خارج بلاده ، وكان بعض من لم يسبروا
غور الأمور يتعجبون من آرائه ويبدو لهم أنها
ليست ملائمة لبعض المواقف ، وسرعان ما
تظهر الأيام صدق تصوره ، وبعدهم هم عن
الصواب .

٨- نشاطه ، وهو نشاط لازمه من أول ما
بزغ نجمه في الأفق ، فكان شعلة من النشاط ،
في تحركاته الحربية ، وفي مناوراتهِ ، وفي سرعة
تجاوبه مع الأحداث ، ومقابلتها ، حتى أصبح
أعداؤه في طرف الجزيرة يتوقعون ، وهم
يسمعون عنه في طرفها الآخر ، أن يصبحهم أو
يمسيهم ، وأصبح بعضهم فريسة للوهم من
جاء ما انتشر عن قدرته على سرعة التنقل .

ولم تحب جذوة هذا النشاط لَمَّا طوي علم
القتال وإنما بقي نشاطه في إدارة دفة الحكم ،

والعمل الدائب، ليل نهار، خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية، حينما كان العالم يمر بأزمات متتالية، كان لنشاطه وحكمته، بعد عناية الله، الأثر الكبير في تفادي المملكة لها، وعدم معاناتها منها.

٩- الكرم المتعدي للحدود، في مجتمع يضع الكرم في مقدمة الصفات الحميدة. وكانت هذه الميزة بجانب أنها أكملت صورة المجد لعبدالعزیز عند مواطنيه، ومعاصريه، فقد أكسبته أنصاراً وجدوا في انفراج يده ما قضى على عسرتهم، وأزال عنهم غوائل الزمن، فحفظوا له حقه، من العرفان بالجميل، مقابل ما حفظ لهم من ماء الوجه، عندما أخنى عليهم الدهر، ومنهم شيخ القبيلة والتاجر، والمتعفف والمتعفة، وصاحب الصنعة.

١٠- الوفاء، وكان هذا واضحاً في مراحل

حياته، كان لا ينسى الجميل لمن أسداه إليه،
وكان يقدر منه أقله، خاصة ما أسدي إليه أول
حياته، عندما كان الواثقون من بلوغه الهدف
قليل، وكان يوفي صاحب المعروف حقه،
ويسلسل عطفه، ويظهر امتنانه لأبناء الأبناء،
وهذا خلق أكسبه حب الناس، واستماتتهم في
كسب رضاه، والتجاوب مع رغبته، والتسابق
إلى تنفيذ إشاراته، والتطلع، من المسؤولين
عنده، إلى السير على المنهج الذي يفضله.

هذه بعض العوامل التي أرى أنها ساعدت
الملك عبدالعزيز - رحمه الله - على نجاحه في
قصده، وسوف أكتفي بهذا القدر منها لضيق
المجال، وفيما عدت منها ما يظهر عظمة
الرجل، الذي أسس هذا الطود الشامخ، الذي
يحافظ اليوم على كيانه، وتطويره، أمة بكاملها،
آمنت بشموخه، وقدرت ميزاته، وملاها الفخر

بالانتماء إليه ، وعلى رأسها رجل شارك أباه
عبدالعزیز فیما وكل إليه ، وتسلم منه مبادئ
النجاح والإدارة والحكم ، فأضاف إلى ما تعلمه
منه عصارة التجربة ، يعضدها النضج ، والنية
الحسنة ، وبذل غاية الجهد ، ليصل بهذا الوطن
إلى ما يرضي الله ، ويرفع الرأس .

الملك عبدالعزيز وجهوده^(١)

جهود الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لتوحيد الجزيرة تحت لواء واحد ، معروفة وواضحة ، ونتائجها نعيش ثمارها اليوم ، ونتمتع بفيء ظلالها ، ولم يبق للباحث مجال ينقب فيه إلا المزايا التي ساعدت الملك عبدالعزيز ، بتوفيق الله ، إلى الوصول إلى الهدف ، الذي رسمه منذ أن بدأ الخطو في توحيد الجزيرة ، الذي لم يكن أحد يتصور أنه يتحقق ، لما امتازت به طبيعة الجزيرة من تضاريس قاسية ، وما عليها من قبائل ، وما يتنازعها من سلطات ، وما يكمن على جوانبها من أطماع ، أو يظهر من نوايا مبيتة .

١ - ولعل أهم ما تميز به الملك عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - هو الثقة بالنفس ، التي امتلأت

(١) نشرت بمناسبة اليوم الوطني في صحيفة «البلاد» في ٢٧/٩/١٣٩٦ هـ .

بنية مخلصه، لرفع الجور، وإحلال السلام،
لشعوره بمسؤوليته، وهو الوريث لسلطة
شرعية، حكمت وسط الجزيرة، حكماً حمده
أهلها، وتطلعوا إليه، خاصة بعد أن أضنتهم
الفرقة، وأمضهم التطاحن، وأفناهم التشاحن؛
فقوى ثقته بنفسه هذا الشعور الفياض بالمسؤولية،
وبالسير على نهج أجداده في لمّ الشعث، بإرخاص
النفس والنفيس، لبلوغ الهدف النبيل؛ وشحذ
همته ما رآه من حق ضائع، ونزاع متفاقم، وشر
مستطير، أنك الجزيرة وشتت شملها.

٢- كان عبدالعزيز ثاقب الذهن، صافي
البصيرة؛ سبر غور المجتمع في الجزيرة، ودرس
حالتها، وما فيها من نزاع، وما تقاسمها من
سلطات فقوّم تلك السلطات، بدوية كانت أو
حضرية؛ وعرف أهلها، ووزن قدرتها، وراز
أبعادها، وتلمس أدواءها، وعرف المداخل

إليها، ومهد للقضاء عليها، أو الاستفادة منها؛ ووضع لكل فئة مكاناً في مخططة، وحدد زمن معالجة كل سلطة، وكل قوة، فتحرك لها أو معها، في الوقت الذي حدده.

٣- صقلته التجارب، التي مر بها، أو مر بها ذووه، واستفاد من تجاربه وتجارب غيره، فعرف منها مداخل الضعف، الذي يجب أن يتجنبه، ومصادر القوة في جانبه، وهي ما يجب أن يغذيها؛ فركز على الضعف بإزالة أسبابه، ومواطن القوة بتكثيفها وتقويتها، حتى يبني نفسه على أساس قوي، يتحمل المهمة الصعبة، التي وطد نفسه على ركوبها، كائناً ما كانت النتائج.

٤- كون لنفسه نواة رائعة لجيش سوف يخوض به معاركه، وهي الوسيلة لبلوغ جزء مهم من الهدف، وأخذت هذه النواة تكبر في

العدد، وتقوى نوعاً بالصقل، وقوة الولاء،
حتى أصبحت سمعتها تفتح الحصون، قبل
اشتراكها في المعارك.

٥- قرن سببه بالله، وأخلص له العمل،
كما أخلص له النية من قبل، فكان في ذهنه،
وفي قوله، وفي عمله مخافته وخشيته؛ وطلب
رضاه في وقت كان سفك دم الإنسان أسهل
من سفك دم العصفور، فهدف - رحمه الله - أن
يعيد للإنسان المسلم قيمته، كاملة في دمه وعرضه
وماله؛ وشعر الناس بإخلاصه في هذا، فساعدوه
على أنفسهم، وانضموا تحت لوائه راضين،
واستماتوا في الدفاع عن الهدف، الذي يسعى
لتحقيقه وحمايته.

٦- كان يقظاً لما حوله من سلطات، فلم
يغفل عن إعطاء كل صغيرة وكبيرة، في معاملته،
ما تستحقه من الرعاية والمتابعة، فلم يجعل،

بهذا، للخداع، أو للغدر، مجالاً أن ينال منه،
وكان دائماً أسبق إلى اتخاذ الخطوة الوقائية في
تجنب ما قد يكون عدوه قد بيته له .

٧- أثبت عبدالعزیز - رحمه الله - أنه كان
مخططاً بارعاً في وقت عدم فيه التخطيط، وكانت
عمليات أعدائه تقوم على اللحظة، والنظرة
فيها قاصرة عن أبعاد المستقبل؛ أما هو فكان
يتبع مخططين:

الأول: عام للوصول إلى الهدف البعيد،
وهو توحيد الجزيرة .

والثاني: التخطيط الدقيق المفصل لكل
عملية، دون أن ينسى فيها الهدف الأساس،
الذي كانت مراعاته تغيب عن أذهان من حوله،
فيُظن في تصرف عبدالعزیز في أمر ما خطأ،
فيُكتشف، فيما بعد، صحة رأي عبدالعزیز
وتصرفه، وأنه كان يرمي إلى شيء أبعد مما يمكن

أن يراه الإنسان غير المسؤول ؛ ؛ ففي موقعة
من المواقع ، وهو في أتم استعداد ، وضعف
عدوه ، يبدي تسامحاً ، يعجز من حوله عن
تلمس أسبابه ؛ فيثبت الزمن أن عبدالعزيز
كسب بهذا التسامح أكثر مما كان يمكن أن
يكسب لو دخل المعركة .

٨- وعبدالعزیز ، القائد ، الشجاع ، المقدم ،
أثبت ، أمام رؤساء العشائر ، أنه حاكم كفي ،
وأمام رؤساء الدول ، وحكامها ، أنه السياسي
البارع ؛ وأثبت لشعبه أنه الملك ، الذي يستحق
حب شعبه ، بعد أن توطدت الأمور ، فقد كان
لهم ابناً ، وأخاً ، وأباً ؛ وكان عطوفاً ، كريماً ،
حازماً ، في أخذ الحق منهم ، وإعطائه لصاحبه
بينهم ؛ سهر على راحتهم في أحلك الأوقات ،
وهي فترة الحرب العالمية الثانية ، فجنبهم مزالق
انحدر فيها آخرون ، ووفر لهم من أسباب

الطمأنينة، أثناءها، ما جعلهم لا يشعرون
بوجودها.

رحمه الله - وجزاه خيراً على ما قدم، ووفق
خلفه، وأعضاده، لما يحبه ويرضاه.

الملك عبدالعزيز رحمه الله^(١)

الملك عبدالعزيز - رحمه الله - رجل فذ،
وشخصية نادرة، جاء في وقت عصيب؛
التطاحن فيه على أشده، والفرقة ضاربة
أطنابها، والأطماع مستعرة، البادية في عراك
وقتل ونهب، والمدن في خوف وترقب وتربص،
الثرات تفتك بالأفراد وبالجماعات؛ ثارات
بين العوائل، وثرات بين القبائل، وثرات
بين القرى، وثرات بين المدن، الكل، إلا ماندر؛
بين طالب ومطلوب، أو لاحق أو ملحق.
لا يطمئن أحد على حياته أو ماله، لا يهدأ لأحد
بال، ولا تطمئن نفس، القوافل التجارية
تنهب، إن لم تحم بجيش يفوق أشخاصها عدداً
وعدة، والحجاج يهتمون كأنهم إلى ميدان
حرب يذهبون، عدة وعتاداً.

(١) نشرت في عكاظ عام ١٤٠٤ هـ بمناسبة اليوم الوطني.

وجاء عبدالعزيز - رحمه الله - وامكاناته
المادية محدودة إن لم تكن معدومة، ومجال تحرّكه
كذلك محدود، وعيون رضى وأمل إليه متطلعة،
وعيون غضب وتوجس إليه مراقبة ومتراقبة،
وسلاحه البتار الذي زوده الله به: عقل راجح،
وإيمان قوي، ومجد أثيل، وبصيرة نافذة،
وصبر لا تتزعزع أركانه، ومثابرة لا تكل،
ونية حسنة تحدد طريقه؛ ووهبه الله حسن
التصرف، والمقدرة على وزن الأمور، فأناة فيما
لا تنفع فيه إلا الأناة، ومبادرة فيما لا يحتاج إلى
تأخير أو توانٍ.

لهذا أتى بما لم يأت به من عندهم إمكانات
مادية أكثر من إمكاناته من معاصريه، وأنجز
أكثر من غيره، ممن كانت أسباب النجاح
السهلة ميسرة لهم.

احتار فيه من رآه يتأنى في دخول المعارك، فلم

يعهدوه جباناً حتى يتهموه بالجن ، واحترار فيه من
رآه في مقدمة المهاجمين يعلن عن نفسه بشجاعة
وبطولة ، فعهدهم به صاحب حق لا يجازف
بإضاعته ، وصاحب مجد لا يعرضه للخطر .

كان عاقلاً ذكياً يقدر خبرة المجربين ، فلا
يستخفه حماس الشباب ، كان يقدر الرأي
الناضج ، ويميزه عن غيره من الآراء الفجة ،
وتعود منذ الصغر على الاستماع ، وتمحيص
الآراء عند الاستشارة ، حتى أصبح هذا ديدنه ،
وسمة من سماته ، ومع التجربة أصبح يتقن
الطريقة التي يستشف بها آراء الآخرين ، ويميّز
بين آرائهم ، ومع الوقت ، ومروره ، أصبح ثقة
عند الآخرين ، ومرجعاً لهم في تصرفه وأحواله .
بزّ الآخرين بفكره العميق ، حيز أقرب أتباعه ،
وأدهشهم بتصرفاته وتصريفه للأمور : رأوها أحياناً
في ظاهرها أبعد ما تكون عن الفائدة ، وأقرب

ما تكون إلى الضرر، ثم ما تلبث نتائجها أن تكذب رأيهم، فيقول بعضهم أنه الحظ يخدم عبدالعزيز، ولم يكن الحظ، ولكنها البصيرة النيرة، التي فتح الله له أبوابها، فرأى من خلالها من الصواب ما لم يروه، وأعطى في هذا من التوفيق ما لم يعطوه.

كانت عوامل النجاح فيما توصل إليه من نتيجة تكمن في قواعد المجد التي تمسك بها، إيماناً بفائدتها، وسيراً على طريقة أسلافه فيها، وهم من كونوا ملكاً يسعى هو الآن لاستعادته، وإقامة أعمده من جديد ومن هذه القواعد:

الكرم: وعبدالعزیز في محيط تعود على الكرم، ويتطلع إلى أن يكون متوافراً في القائد والزعيم، فهو يغلي الكرم، ويغلي صاحبه، ويقدره، ويراه عماداً من عمد سمو المجتمع وارتفاعه؛ والكرم خلة تبلورت منذ مئات السنين في المجتمع، ونبتة تأقلمت في هذه الأرض الصحراوية

القاحلة، فأصبح الكرم راتقاً لفتق جذبها
وقساوتها، وتباعد أطرافها، وشح مواردها؛
وصدى لطبيعتها، أو انعكاساً لما يجري فيها.

فابن الصحراء، عبدالعزيز، أدرك طبيعة
الصحراء، واعترف بحقها عليه، وحقه لها،
فساهم في الإبقاء على خلة الكرم، التي هي من
أهم مستلزماتها، وأنعشها، فالتصقت به،
وعرفت به، وعرف بها.

والإسلام من قبل حمدها، وحث عليها في
كتاب الله المجيد، وعلى لسان رسوله الأمين، وفي
أفعاله، وله فيه قدوة حسنة. وقد كسب
عبدالعزیز - رحمه الله - منها كثيراً: فتحت له
بها القلوب، وبالقلوب فتح البلدان، وحاز
الصحاري والقفار، وبالنية الطيبة، في الكرم،
وغیره، فتحت له كنوز الأرض، فابتسم ثغر
الأرض بعد العبوس، وصفا وجهها بعد

الكلف ، وطال خيرها القاصي والداني ، فشرق
اسم مملكته وغرب : سمعة تسر الصديق ،
وتغضب العدو .

والوفاء: صفة ثانية عرف بها عبدالعزيز
- رحمه الله - كما عرف بها آباؤه من قبل ، لا ينسى
من عمل معه ، أو له ، أو بجانبه ، ولا ينسى
سعي من سعى إليه ، وقصده ، واختار جانبه ؛
وقد استفاد من هذا أفراد وفي لهم عبدالعزيز
- رحمه الله - ولأولادهم ، وبلدان أغدق عليها
عبدالعزیز ، وفاءً لما قدمته .

والوفاء ذخيرة تدخر ، قدرها العربي حرزاً
للمستقبل ، يدل بها على من قدم له عملاً ، أو
مد له يداً . وجد فيها عبدالعزيز - رحمه الله - راحة
نفس ، وباب سعادة ، ومجلب إخوان أوفياء ،
وأصدقاء أصفياء .

والعفو والتسامح: في مجتمع يجيش بالغارات

والغزوات ، ويطفر بالاعتداء والنهب والسلب ،
وفي محيط يتطاحن فيه المعتدي ، والمعتدى عليه ،
وفي بيئة ليس فيها حاكم ينصف المظلوم من
الظالم .

كان الغدر هو السمة المسيطرة ، وهو الأمر
المتوقع بين أفراد المجتمع في الجزيرة حينئذ ،
قبل توحيد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لها ،
لهذا لما شذ عبدالعزيز عما عهدته الصحراء ،
في هذه الفترة ، من غدر ، وانتقام ، فاتسم تصرفه
بالعفو والتسامح ، في حالات متعددة لا يكاد
يرى للعفو فيها مجال ، أدرك الناس أنهم أمام
شخصية ، ليست عابرة ، وإنما جاءت لتبني
وتنشئ ، وعليها مسؤولية تتناسب مع ما يحتاجه
هذا المجتمع من ضبط ، وسيطرة ، وإصلاح .
أدركوا أنه شخص يختلف عن الآخرين ، وقد
جاء العفو والتسامح ، المشوبان بالحزم ، بالفائدة

المرجوة منهما، فكسب من ورائهما أكثر مما
خسر، كسب شخصيات كان يقدرها، وأراد
أن يستفيد من كفاءتها، بعد أن تمر السحابة
القائمة التي أوجبت الاصطدام، فبرهن مرور
الزمن على حسن تقديره، وصحة تصوره،
وانقلب اعداؤه بالأمس إلى أصدقاء له اليوم،
ومناوئوه سابقاً مساعدوه حالياً. فأصبحوا
عوناً مخلصاً له في جهاده، وسنداً قوياً عندما
بدأ البناء والإنشاء.

فتوفر لمجتمعه نتيجة العفو والتسامح عناصر،
احتاج إلى سواعدها، وقت السلم، وغرس
الآمن.

الحزم: لم يكن التسامح والعفو ليقبل من
الحزم، والأخذ بيد من حديد على العناصر التي
كان يشعر أنه لا فائدة من التسامح معها، لأن
خطرها كبير على الدين، أو الأمن والاستقرار،

وهذه أمور لا يهَادَن فيها، أو يُتسامح أو يُتغاضى،
دليل إدراك، ووعي للأمور، وما يفصل بين
ما هو خطر أو غير خطر .

كان - رحمه الله - لا يتوانى عن الأخذ على يد
العابث، أو الذي يحيد عن طريق الجماعة، أو
يلبس ثوب سوء النية والإفساد، فأكسبه هذا
ثقة أتباعه، واطمأنوا إلى أنهم في يد أمينة،
تحرص نفوسهم، وأعراضهم، وأموالهم .

وكان واثقاً من الميزان الذي يزن به الأمور،
وهو ميزان الشريعة، الذي حماه، وأصر على
تطبيقه، فأصبح فريداً في المجتمع الدولي،
وأصبحت نتائجه فريدة أيضاً .

الصدق : مظهر مهم من مظاهر الرجولة،
كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - صادقاً مع
نفسه، ومع الناس، ولا يرضى منهم إلا ذلك،
كان يكره التظاهر بما لا يساير البواطن .

كان يتسامح عن كثير من أمور الزلل،
ولكنه لا يسامح على الكذب والنفاق، لأنه
يعرف أنها، وأمثالها من النقائص، سوس
ينخر في جسم المجتمع، وداء فتاك إذا فشا فيه،
سريع الانتشار، سريع الإعطاب.

كان يقدر الرجل الصادق، لأنه يريح ذهنه
إذا كان عدواً، ويملؤه بالثقة في الصديق، مما
يجعله يحاول كسب عدوه الصادق لهذه الميزة
فيه، ويسلم القيادة لصديقه الصادق.

وتقدير هذه الخلة تدل على غريزة الزعامة
والقيادة، التي من مستلزمات نجاحها أن
يكون من حولها رجال صدق في النية،
والقول، والعمل.

هذه لمحة عن ميزات اختصرتُ عددها،
لعبت دوراً مهماً في نجاح الملك عبدالعزيز، في

المهمة التي أخذ نفسه بها ، وهي تمثل جانباً من جوانب متعددة ، ويمكن أن يذكر بجانبها أمور كان لها دور في نجاحه في تكوين المملكة وتوحيدها ، وهذا الجانب يعتمد على ما يمكن أن يوصف أنه الحنكة في سياسة عبدالعزيز الحربية :

لم يكن عبدالعزيز يدخل معركة إذا أمكن أن يتفادى دخولها ، ويحقن الدماء : دماء أتباعه ، ودماء الآخرين ، منطلقاً في ذلك من أمرين : الدين والسياسة .

وفي هذا حقن لدماء أتباعه ، وهم جواهر انتقاها مع مرور الوقت ، فلم تكن أرواحهم رخيصة عليه ، فهم سنده ، وهم أعضاده ، لا تنقصهم الطاعة ، ولا الشجاعة والإقدام ، وهم أداة تنفيذ سياسته مستقبلاً والحماة للتراث ، الذي يحاول الآن لم شمله ؛ وفيه حقن لدماء

الآخرين المناوئين له ، لأنه يعتبرهم من الآن
شعبه ، وأن عليه توفير حياتهم ، وادخارهم
لمستقبل يرسم خطوطه في ذهنه ، لا يريد أن
يترك في نفوسهم ، أو نفوس أبنائهم ، ندوباً ،
لا تسمح لهم بالسعادة الكاملة مستقبلاً .

هذا مع الاعتبار بأنهم مسلمون ، حادوا
عن الجماعة ، والأمر يحتاج إلى إرجاعهم إلى
جادة الحق بأقل ألم .

ولم يكن عبدالعزيز - رحمه الله - يخرج عن
الخطة ، التي رسمها لاسترداد ملك آبائه ، أي
أمر طارئ بسهولة ، إلا إذا وجد أنه يختصر له
الخطة ، أو يساعد على تحسينها وإتقانها . وكان
يسير في خطته بأناة وتؤدة ، فعل الواثق من
نفسه ، المطمئن إلى استرداد حقه ، وكان يحسن
مقابلة المفاجآت ، التي يخطط لها مناوئوه .

وكان يحاول دائماً ، فعل القائد المجرب ،

أن يخطط للخروج من المعركة قبل الدخول فيها، مما يجعل الهزيمة، إذا كتبت، أقل ضرراً، وهذه صفة القائد الناضج، فالقائد المحنك لا يغتر بعدد رجاله، ولا تفوق عدتهم، ولا بضعف عدوه، ولا بسوء موقع هذا العدو، ويعرف أن نتائج المعارك قد تأتي بما لم يخطر على البال، يتوقف الأمر على ظرف طارئ، أو إشاعة تنشر، أو خلل يجد، أو طقس يتغير، أو مرض يفاجئ.

وكانت الهزيمة لا تؤثر على روحه المعنوية، وكل وقعة ما هي إلا حلقة في سلسلة يحاول أن يمحو هزيمته فيها بأسرع مما يتوقعه عدوه، ولا تزيده خسارته فيها إلا تصميمًا على كسب الثانية، فروحه المعنوية لا تتأثر، وحماسه للنصر لا يفتر.

ومن أهم عناصر نجاحه السرية التي يحيط

بها تحركاته ، فلا يدري أحياناً أقرب الناس إليه
عن هدفه ، حتى يكون قاب قوسين أو أدنى
من عدوه ، لأنه يعرف مدى تغلغل «السيور»
الجواسيس ، فهو نفسه يستفيد منهم في جانبه ،
ويعرف أن أعداءه كذلك يثون عيونهم .
وكثيراً ما يوهم عدوه بأنه يقصد مداهمة عدو
آخر ، فيرهق هذا بالاستعداد ، وتكون المباغثة
لعدو آخر لم يستعد ، ولهذا فأي استعداد حربي
يظهره يستعد له أعداؤه ، مما ساعد على ثقل
عداوته على كاهلهم .

كان - رحمه الله - يعرف الرجال ، ويعرف
لهم أماكنهم ، ويضعهم حيث يستفاد من
طاقاتهم وخبرتهم ، ومقامهم بين الناس ، كان
يختار قواده أحسن اختيار ، وكانت تعليماته
لهم صريحة ، وواضحة ، ومتقنة ، كان يضع
لهم خطوطاً لا يتعدونها ، وأخرى يترك لهم

حرية التصرف فيها : فعل الرجل المدرك لدوره ،
المسيطر على جنده ، الوثاق من حكمتهم ، وحسن
تصرفهم في الوقت نفسه .

كان يهتم بالغارة المحدودة الصغيرة اهتمامه
بالزحف بالجيش اللجب ، لأنه يقدر أثر الأهمال
في جلب الهزيمة ، وانعكاس ذلك على سمعته
عند أعدائه ، وعلى روح جنده ، وولاء حلفائه .

قضى معظم فترة شبابه في حروب في
الصحراء ، في تثبيت الأمن بين قبائلها ،
وسابلتها ، ومع هذا فكانت عنايته بالمدن ،
وتنظيم أمورها فائقة ، كان يرتب أمورها ،
ويرعى شؤونها ، ويسعى لازدهارها ، وتكامل
مرافقها ، ووزن تداول الخيرات فيها ، من
أغذية وغيرها ، وكان يراقب الأسعار ،
وتذبذبها ، يسارع إلى معالجة ما اختل منها ،
بمنع التجار من الخزن المضر ، أو الاحتكار

المخل ، وكان لا يوفر نفسه عن الاهتمام بأصغر الأمور ، التي تلمس راحة الناس وهناءهم .

لهذا عندما وضعت الحروب أوزارها كانت الحياة تدرج في المدن إلى ما كان يرجوه لها ولسكانها .

واعتماده الشريعة الإسلامية إطاراً لحكمه أراحه من التخبط في الأنظمة المحدثه التي تخبط فيها غيره ، وثقته بالدين الإسلامي ، وأنه شفاء لأي داء ، ساعده على علاج جروح المجتمع من ثأر متأصل ، ونهب سائد ، وسلب لا ينقطع أواره ، وجشع لا يستقر قراره ، وتسلب منهك للضعيف ، ومطغ للقوي .

وسرعان ما دارت عجلة الإصلاح ، وبدأت التنمية تأخذ طريقها في المجالات المختلفة ، رغم جثوم الحرب العالمية الثانية بكلكلها على العالم أجمع ، رامية ظلالاً من الخوف والعوز

على كثير من الأقطار . لقد استطاع أن يخطو
ببلاده خطوات حثيثة ، ويضع الأسس للكثير
مما نراه اليوم وارف الظلال ، زاهي المنظر والمخبر .

فالتعليم وضع أسسه ، ومهد لانتشاره ،
وشجع على الإقدام عليه ، ووضع له من الجواذب
ما يضمن له النجاح ، ليخدم المتعلمون بلادهم ،
بدرجة الطموح التي كان يتطلع إليها - رحمه الله - .

والمواصلات أعطاها ما تستحقه من الالتفات
بتمهيد الطرق ، وتشجيع الوسائل الحديثة ،
من سيارات ، ومن مراكز ، ومن سفلة ، وشق
طرق ، بعد أن تحسنت الامكانيات ؛ ووسائل
الاتصال الحديثة أدخلها ، وتوسع فيها ،
فخدمت غرضه ، وأسرعت بالوصول إلى
النتيجة التي يريدها لهذه المملكة ، المترامية
الأطراف ، وكانت عوناً له على استتباب الأمن .
والزراعة في ظل الاستقرار والأمن ازدهرت ،

وبدأت تساهم في رفاه البلاد، وشجع على الاستفادة من الوسائل الحديثة، ودخلت الآلة إلى المزارع جذباً للماء، وحرثاً للأرض، وحصداً للزرع، وذريراً للحب، وطحنأله .

والأمن أرسى قواعد بىث المراكز، وتطویر حکم المدن، وتنظیم العمل بین المراكز والأطراف، وساعده على هذا تصور صائب، واستفادة من تجربة الآخرين في الوسائل الحديثة، فما وجدہ نافعا ممن سبقه أبقاه، وما وجدہ ناقصاً كملہ، أو مائلاً عدلہ .

آمن بأهمية الأمن لحركة الإصلاح التي بدأها، فأعطاه ما يستحقه من الرعاية والالتفات، حتى ضرب المثل بأمن السبل والبلدان، وفي ظل الأمن الوارف ازدهر الإصلاح، وأرسى قواعد تكوين الجيش والشرطة، ونواة الحرس الوطني، ليضمن هبة الدولة، داخلاً وخارجاً .

والتفت للصحة ، ورعاية مصالح المواطنين
في هذا المجال ، فأنشأ المستشفيات في حدود
امكانياته ، واستجلب الأطباء ، وشجع على
مجيئهم ، فكانت الأسس قوية في نشر الوعي
الصحي ، وفي مقاومة الأمراض ، وتعريف
الناس على التطعيم ، وجذبهم إلى الاستفادة منه .

والتفت إلى العلاقات الخارجية ، والتعريف
بالمملكة ، وإدخالها المجال الدولي ، وفتح
ممثليات في البلاد الصديقة ، لرعاية مصالح
شعب المملكة في تعامله في التجارة والسياحة ،
والاستشفاء ، وغير ذلك .

ونظم القضاء ، ووفر القضاة ، وشجع
المؤسسات التعليمية الدينية على تخريج القضاة ،
وأوجد لهم الدوائر ، التي تنظم أمرهم ،
والمركز الذي يكون إليه مرجعهم ، وظلل هذا
الجانب برعايته .

ورتب أمر الدخل والصرف، وأوجد المصادر التي تفيء بظلال خيراتها، لتساعد على النهضة، وأوجد لذلك الفروع، التي تخدم المناطق، وتساعد على حسن العمل بينها وبين المركز، ووازن بين الدخل والصرف، في وقت كانت الامكانيات محدودة. والحرب العالمية الثانية تجعل الجهد شاقاً، والعمل مضاعفاً، وفرص النجاح محدودة، وقد خاض غمار بحر هذه الفترة بسلام.

هذه ملامح سريعة، تذكر الإنسان بما مر عن توحيد المملكة، والجهود التي سبقت ذلك، وما قيل هنا قليل من كثير يمكن أن يقال، مما لا يكفي فيه، لو فصل، مجلدات.

رحم الله الملك عبدالعزيز، فقد كان أهلاً للمهمة، التي تطلع عليها، وأهلاً لما أنجزه، وأمثاله من رجال التاريخ قليل.

الملك عبدالعزيز رحمه الله^(١)

الهدف الذي سعى الملك عبدالعزيز إليه في مستقبل عمره كان واضحاً، وهو توحيد المملكة في الإطار الذي كونه آباؤه من قبل، ولم يبق إلا الوسيلة، والمنهاج الذي عليه أن يتبعه لتحقيق هذا الهدف، والأسس التي يجب أن تراعى للحفاظ على هذا الهدف، عند تحقيق بناء الكيان.

أما الوسيلة فحكمتها حالته في المراحل التي مر بها في كفاحه، قوة وضعفاً، وأما المنهاج فتوقف على نوع العدو، الذي أراد أن يأخذ حقه منه، أو يدفع شر هذا العدو عنه.

إذاً، كان هناك حق يريد استرجاعه، وهو في حاجة إلى قوة يطورها وينميها، وسياسة يخطط

(١) هذه أعدت بمناسبة انعقاد مؤتمر الملك عبدالعزيز الذي عقدته جامعة

الإمام محمد ابن سعود، عام ١٤٠٦هـ

دروبها، ويسير عليها، تتناسب مع طموحه
ومقدرته، ومدى شراسة عدوه، وظروف
يجب أن يراعيها دون أن يستسلم لها.

فالمهمة صعبة ولا ينجح فيها إلا رجل ذو
عزم وإقدام، وجلد، وصبر، وأناة؛ ذكي،
لمح، يقظ، حذر، يثق عندما تكون الثقة واجبة،
ويشك عندما يكون الشك أحزم؛ رجل قاسٍ في
مكان القسوة، لين عندما يستوجب الأمر
ذلك. ذونية سليمة، وهدف نبيل، جسور،
شجاع، مستعد أن يضرب المثل لرجاله في
الاندفاع والثبات، يحسب لكل أمر حسابه،
يقلب الأمر على جميع جوانبه.

هذه الأمور ثبت أنها كانت متوافرة في الملك
عبدالعزیز، وهي ميزات توافرت فيه عن طريق
استعداده الفطري، ثم صقلت بالتجارب، التي
مر بها، وتكونت عنده من نشأته، في بيئة تقدر

مثل هذه الميزات .

عاش عبدالعزيز في مجتمع جاد ، يتحفز أفرادُه
لاستعادة أوطان مغصوبة ، أصبح ينقصها
الأمن والاستقرار ، والازدهار ، والرخاء ،
وانعدم فيها التماسك ، والتقارب .

عرف الملك عبدالعزيز - رحمه الله - جيداً
حياة الصحراء ، بشظفها وقسوتها ، وطبائع
أهلها ، وأخلاقهم ، فنفعه ذلك أثناء كفاحه ،
عرف مواطن الثقة ، فاطمأن إليها ، واعتمد
عليها بعد الله ، وعرف مكامن الغدر ، فأخذ
حذره منها ، وسدد مداخلها عليه .

عرف القبائل ، وصلات بعضها ببعض ،
وأحلافها ، ومنازعاتها ، فاستفاد من ذلك
بطريقة تجعله لا يقتصر على الفائدة الحاضرة
منها ، بل يهيء منها قسماً من الشعب الذي يريد
أن يبني منه الكيان ، على أسس ثابتة ، وسليمة ،

تقاوم صروف الدهر ، وتقلب الزمن ؛ وقد تم
له ذلك .

كان الأمر في ذهنه من بعض جوانبه ينقسم
إلى قسمين :

قسم الكفاح ، وقسم البناء . القسم الأول
له ظروفه ، وله وسائله ، وهو تمهيد للقسم
الثاني ، الذي يتوقف عليه ، وينتهي إليه .

وإذا كان الأول من هذين القسمين مؤقتاً ،
لأنه وسيلة ، فإن الثاني منها دائم ، وباق ، لأنه
هدف وغرض . ولكل منهما طبيعته في ضوء
ذلك ، فمثلاً للتغلب على مناكف ، أو مشاكس ،
أو عنيد ، أو مكابر ، لا يفكر - رحمه الله - فقط
في تطويعه بأي طريقة ، ولو كانت قاسية ، ولكنه
وهو يتخذ الطريقة الحربية ، مجبراً ، يفكر أيضاً
في كيف يربح الجولة بأقل خسائر متوقعة ،
عليه وعلى خصمه ، يتفادى الخسائر في جانبه ،

لأن جنده هم عدته لمكاسب أخرى ، لا تزال أمامه ، ويتفادها في جانب خصمه ، لأنه خصم اليوم ، رعية الغد ، فلا يريد أن يترك ندوباً عميقة في الأنفس ، إذا أمكنه أن يتفادى ذلك .

ولهذا استطاع أن يخرج من ذلك بأمور تعتبر مستحيلة لو قام بها آخرون ، فعَدُوّ هذا الشهر صديق الشهر الثاني ، يحمل راية عبدالعزيز ، يغزو بها في جانبه ، أو نيابة عنه .

كان - رحمه الله - حازماً مقداماً ، يقدم على الأمر عندما يجد الإقدام حزماً ، ويحجم عندما يجد الإحجام صواباً ، فهو صاحب حق غال ، لا يجازف به لأمر شكلي ، ولا يهمله ما يقال عن إحجامه ، مادام يعرف أن الحق والصواب معه ، لأن الزمان كفيل بأثبات صواب رأيه ، ولا يبقى من القول والفعل إلا الصالح .

لم يكن شجاعاً من أجل الشجاعة ،

واستعراضها ، وإنما للاستفادة منها للغرض
النبيل السامي الذي قام من أجله ، فهو لهذا
يوفرها لوقتها . وليس هناك قائد لأي معركة ،
مهما بلغت قوته ، عدة وعتاداً ، ومهما تبين
من ضعف عدوه ، يستطيع أن يضمن نتيجة
المعركة التي يخوضها ، لهذا كان يهتم للمعركة
الصغيرة مثل الكبيرة ، لأنه يدري ماذا يحدث من
مفاجآت قد تقلب الموازين . فالحزم والإقدام
في دخول المعركة ، أو الإحجام عنها ، يأخذ
منه حقه من التفكير .

كان دائماً - رحمه الله - يتمثل بهذه الجملة
«الحزم أبا العزم أبا الظفرات ، الترك أبا الفك
أبا الحشرات» .

كانت معاركه موزونة في اختيار عدد الجيش ،
وعتاده ، وفي أدوات ركوبه ، وفي اختيار طريقه
وسيره ، ليلاً أو نهاراً . كان استعدادده فيه

متكافئاً مع الغرض ، فهذه غزوة سريعة وقريبة ،
تحتاج إلى خيل ، وخفة حركة ، وسرعة انطلاق ،
ينقض بهم انقضاض العقاب ، وأخرى تحتاج
إلى عدد كبير ، وجمال محملة ، أو سريعة ، واختيار
الطريق ، وثالثة تحتاج إلى ما يناسب سفراً
طويلاً ، وأحمالاً خفيفة ، وهكذا .

وأحياناً يكون منطلقه من المدينة ، وأحياناً
من مكان إقامته في الصحراء ، وقد يكون له
فيها أشهر وأشهر ، ينتقل من منزلة إلى أخرى ،
يخرج من معركة ليدخل في أخرى .

وأحياناً تتوالى المعارك الكبرى ، وأحياناً
يفصل بينها بغزوات ، أو سرايا ، أو غارات ،
تأتي مثل اللحمية بين طيات البناء ، تأتي عقاباً ،
أو تذكيراً ، أو وسيلة تموين لجيشه ، وإضعافاً
لخصومه .

كان جلده ، وصبره ، مضرب الأمثال ،

صبر على الجوع والعطش ، وتحمل جراح
الحروب ؛ سهر الليالي ، وواصل السير أياماً ،
يتوجس ، ويتوقع ، ويراقب ، ويطارد ؛ قاسى
الجذب ، والبرد ، والأمطار ، والحر ؛ لم يكن
يهتم بنفسه ، كانت همّه إدارة كفاحه : رجاله
المخلصين ، الذين أوصل تجاربهم إلى ما جعلهم
لا يعوضون .

كان - رحمه الله - باستعداده الفطري ، ذكياً
لَمَّاحاً ، يعرف مرامي مخاطبه ، ويستنتج
تحركات عدوه المقبلة ؛ لم يكن من السهل
خداعه ، قولاً ، أو عملاً .

ذكاءه مكّنه من دراسة خصومه ، وكانت
نتيجة هذه الدراسة أن جعل لكل واحد منهم
معاملة ، أحدهم لا يفيد معه إلا القوة ، وآخر
يأتي به اللين ، وثالث يكسبه بالعطاء ، ورابع
يغلبه بالازدراء والصدود ، وخامس يستصنعه

بالمجاملة والحدز . . وهكذا .

درس رجاله فمن يصلح للحروب قد لا يصلح بالدرجة نفسها لأموال السلم، ومن يفيد في السلم قد لا يأتي بطائل في الحرب .

ومن مظاهر عقله، وحكمته، أنه يحاول أن يكسب خصمه سلماً، فيتجنب دخول المعارك ما أمكنه ذلك، وقد خدع هذا بعض خصومه في أول الأمر، فظنوا أن هذا جبناً منه، ولكنهم سرعان ما تبين لهم ما يؤكد شجاعته، لأنه عندما لا يكون للسلم مجال فإنه يكون في مقدمة الصفوف، وعندما تبدأ المعركة يجول دون أن يحسب للموت حساباً .

وتبين الحكمة في محاولته الوصول إلى هدفه بالطرق السلمية، حتى ولو كان هذا على حساب تأجيل جزء من مكاسبه، في أنه بهذا يوفر رجاله المحنكين المدربين الذين عركتهم التجارب،

وأصبح الواحد منهم يساوي عشرة ممن يدخلون
المعارك من غيرهم . وفي الوقت نفسه يقلل من
المآسي في جانب خصمه ، ليسهل قبوله عندما
تنجلي غمة الحرب ، ويحتاج أحدهما إلى الثاني .

ومن مظاهر سياسته أنه كان كثير العفو مع
من يقدره الله عليه في المعارك ، وكان لا يكتفي
بالعفو عنهم أحياناً ، بل يكرمهم أيضاً . وهذا
جعلهم يتذكرون هذا له ، ويحتفظون به عرفاناً
للجميل ، ويؤثر هذا على غيرهم ، فلا يستमितون
إذا حزبهم الأمر ، ولا يعاندون ، ولا يكابرون ،
لأنهم يعرفون أنهم إذا استسلموا وجدوا قبولاً ،
بل كسبوا من وراء ذلك .

ومن بعد نظره - رحمه الله - أنه يقدر ما قد
يكون لدى من استسلم من أعدائه من كفاءة
وحذق ، فيكل إليه من جوانب الإدارة ما يعتقد
أنه سوف يجيد فيه ، ولكنه لا يغفل عن متابعة

أموره، وسبر غور ولائه، فيضمن بذلك الفائدة ويتقي الضرر، وهذا يجعل الشخص المولى بمنزلة المؤلف قلبه سياسياً، ويمجد أبواباً واسعة فتحت أمامه، قد تكون أفضل مما كان فيه، أو يتوقعه، ولولا هذه السياسة ليئس، وحقد، وانتهر الفرص لإبداء الأذى، والكيد.

وكان - رحمه الله - مؤمناً بما قام من أجله، فمع ما يبذل لتحقيقه من جهد، وما يأتي به من أعمال، كثيراً ما يتحدث عنه بحجة قوية، وأسلوب مقنع، مستعيناً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والمنطق الحسن، في مجالسه، وأمام زائريه، ومن يشعر أنهم يحتاجون إلى تنوير، وإقناع. وما يقوله شفاهاً في مجالسه، وأحاديثه الخاصة، يظهر أحياناً في رسائله، والبيانات التي ينشرها بين الناس، ونشاطه في هذا هو جزء من نشاطه اليومي، الذي يأخذ

عليه كل وقته .

ومن عوامل نجاحه - رحمه الله - في مهمته العظمى التي أخذ على عاتقه السير لتحقيقها أنه كان يقدر إخفاء تحركاته، وأغراضه، وهذا عامل معترف به في نجاح الأمور، فعنصر المفاجأة، الذي ينتج عنه، يخدم الغرض، ويقلل المؤونه، ويحير العدو .

ويذهب - رحمه الله - في الاستفادة من هذا العنصر إلى أبعد حدوده، فهو لا يكتفي أحياناً بإخفاء الأمر، وإنما يعمد إلى التعمية الكاملة، فيبدي أن قصده شيء يختلف عن هدفه الحقيقي، ويتقن التعمية في أن مظاهر الاستعداد تجعل المتبصر لا يشك في النية المعلنة، لأن مظاهر الاستعداد لا تدل على غيرها، فهيئة حملة كبرى تقنع بسفر طويل في حين أن الهدف هو خاطف، وقريب، وفي اتجاه مختلف .

ويتظاهر أحياناً بأنه صدق خصماً أراد أن يموه عليه، ويخدعه، فيستعد - رحمه الله - استعداداً، لا يشك أحد في اقتناعه بنصيحة عدوه، ولكنه في اللحظة المناسبة يتبين أنه هو الذي خدع من أراد أن يخدعه. وهذا أفاده في أن أنماط تحركه، واستعداداته، وسياسته لا يمكن التنبؤ بها، أو الحذر منها، والتخطيط ضدها.

كان يفكر في كل جانب من جوانب المشكلة، في إطارها الضيق، وفي إطارها العام، يستشير، ويستشف، ويتقصى، ويحلل، ويقارن، فإن وصل إلى رأي مضمون النتائج وإلا فيكون هو خير من ألم بالأمر ممن حوله، ومن خصمه، ولهذا يأتي تصرفه عند احتدام المشكلة حاسماً.

نضج - رحمه الله - قبل سن النضج، لأن الحوادث، المكثفة، المتتابعة، جعلته يهضم أكثر

من المعتاد، وفترة نموه ونضجه، كانت فترة غير معتادة في تتابع الحوادث فيها، وسرعة جريانها في ميادين مليئة الأشواك.

وقد استفاد من كل ذلك فيما بعد في حسن دخول المعارك، والخروج منها، وفي انتقاء من يأخذه في جانبه، ومن يتباعد عنه؛ وعندما بدأت المفاوضات مع القوى العالمية كان مستعداً لها، ومستعداً لمراوغاتها، فأدهش المفاوضين في الجانب الآخر، وحيّرهم.

لم يكن يسير في توحيد المملكة حسب خطة جامدة، وإنما كان يسير بطريقة لدنة، فإذا رأى أن أحد الجوانب استعصى، والتغلب عليه سوف يكلف مالا، وجهداً، وبشراً، تركه إلى ما هو أسرع، وأسهل، دون إهمال للجانب المستعصي، بل يبقى يتابع إضعاف جوانب القوة فيما أعاقه، حتى تحين الفرصة

للالتفاف حول الأمر، أو الانقضاض عليه،
وخطته في تلك الأمور، وسيره فيها، في ضوء
ظروف المنطقة، تستحق أن تدرس دراسة
جيدة، لأن إدارته للأمر بنفسه أمر خارق للعادة،
بعد أن تكللت جهوده بالنجاح.

كانت عنده - رحمه الله - مقاييس في ذهنه،
صادقة، يقيس بها تصرفاته وأحكامه، لا يتهاون
في أمر يخص الدين أو الدولة، فالحدود الشرعية
تأتي عنده في الصف الأول وهي تخدم أمن الدولة
في الوقت نفسه.

وحقوق الناس عنده لها ما تستحقه من
أولوية، ورعاية، لا يخرج عما يأمر به الشرع،
ولا يتساهل في أمر يشعر أنه يلمس كيان الدولة،
حامية الدين.

كان يحمي الرعية من الأذى، ويأخذ على
يد العابث، ويزن ظرف المذنب معه، قسوة،

وليناً، قد يتساهل إن كان الأمر دون الأذى العام،
ودون حدود الله، ويتشدد إذا خشي أن يكون
الذنب ظاهرة ربما تتفشى، أو أن التساهل قد
يغري بالاعتداء السيء، أو التماذي في هذا
الجانب، ويهتم لأمر يظنه غيره صغيراً، لأنه
مسؤول، يدرك ما لا يدركه غيره، ويغض
النظر عن أمر يعجب من حوله لتجاهله له.

كان - رحمه الله - يكره النفاق، والمداجاة،
لأن نفسه تأبى أن يظن من هو أقل منه أنه أثر
عليه بقبول غير الحقيقة، وهو الذي عشق
الحقيقة، وعاش معها، وعمل في ضوئها.
والمنافق لم يكن في يوم من الأيام موضع ثقة، أو
احترام، لأنه يظهر غير ما يبطن، والتعامل
معه يحتاج إلى جهد الملك عبدالعزيز، الذي
يجب أن يصرفه في الإيجاب لا السلب.

وكان - رحمه الله - يكره الكذب، وعلى

استعداد أن يدمح الزلة مهما كبرت ، ولكنه لا يطيق الكذب ، ولا يقبل الكذابين ، ولا يسمح للكذاب ، مهما صغرت كذبتة ، أن يمر كذبه بسلام ، وهذا يدل على مقدرته على رسم أعمدة قوية لسياسته ، لأن الحقائق الكاذبة ، والتعود عليها ، سوس ينخر في أي بناء ، لأنه تضليل ، والتضليل ظلمة تغطي الأخطاء ، فيتوهم الإنسان معها الأمان مخدوعاً ، وتحجب الفوائد مع وجودها ، فتفوت الفرص ويضيع الهدف .

عاش - رحمه الله - في مجتمع يقدر الكرم ، وقصصه في هذا لا تحصى ، أعطى يوماً رجلاً من عامة الناس ، مرببه - رحمه الله - في طريقه ، فأوقف السيارة ، ومد له من كيس كان يظنه من أكياس الريالات التي بجانبه في السيارة ، فلما نبهه الراكب الذي معه إلى أن ما أعطاه للرجل الفقير كان من أكياس الذهب ، لم

يسترده منه وقال : رزق ساقه الله له على يدي
أرجو عليه حسن الثواب .

وكان - رحمه الله - في ضائقة مالية في يوم من
الأيام ، وعليه التزامات يحتاج لها مالا كثيراً ،
فوصلت إليه أموال من طريق لم يكن يتوقعه ،
فأخذ يفرقها بين الناس ، فلما ذكره جلساؤه
بضائقته بالأمس ، ووجوب التوفير حساباً
للظروف ، لم يتوقف عن الإنفاق ، وقال أريد
أن أغلب نفسي التي تنازعني على الاحتفاظ
بالمال ، حساباً للظروف ، وقد غلبها كما أراد
- رحمه الله - .

إن تبريره للعطاء بهذه القاعدة القوية يدل
على رجولته ، وحرصه على الاتصاف بالأوصاف
الحميدة ، وهل هناك فضيلة تعدل تغلب
الإنسان على نفسه ، وتصريفه لها ، بدلاً من أن
ينساق وراء رغباتها؟! !

هذه بعض ملامح مختصرة عن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يلمح منها أسباب نجاحه في المهمة التي أنجزها، ووضع لها الركائز الثابتة المتينة، وتحت كل واحدة من هذه الملامح تكمن قصص وحوادث، لا يزال الناس يتناقلونها عنه.

هذا وقد اقتضى زمنه منه أن يمسك الأمور كلها بيده، ولا يتخلى عن أمر إلا لمن يثق به أمانة، وكفاءة، والكفاءات في زمنه قليلة، تكاد تنحصر في قواد الجيوش، وأمراء المدن، وأمناء الخزائن في المناطق المختلفة؛ لهذا كان لا ينام إلا قليلاً، ويكاد لا يعرف الراحة.

وقد نظم وقته تنظيمًا دقيقاً، وقسا على نفسه في ألا يؤخر أمراً يستطيع إكماله في يومه؛ فتعود من حوله على طبيعته، وانطبعوا بطبعه وعاداته.

وكان، وهو في الفترة الأولى من كفاحه، يفكر في إيجاد الرجال الكفيين، الذين يمكنه أن يكل

إليهم بعض الأمور، التي سوف تقتضيها شؤون
البلاد بعد توحيدها، فبدأ بالترحيب ببعض
المستشارين من الدول العربية المجاورة، والتفت
لتشجيع التعليم، ولم يخط في هذا خطوات ذات
تأثير إلا بعد أن استتب الأمن، وانتهت الأمور
الحربية، التي كانت تأخذ عليه وقته؛ وجهده.
وبدأ يتخلى عن بعض أمور الإدارة بعد أن
توافر عدد من المتعلمين، أو المجربين، بجانب
من شب من أنجاله، وأصبح في سن يحمل معه
العبء. فالتفت لدور البناء داخلياً، فنظم
الدوائر، وأقام المدارس، ومهد الطرق، وأقام
المراكز، وحسن الموانئ، وبحث أمر تحسين
الموارد، التي هي عصب الإصلاح المادي،
والتفت إلى العلاقات الخارجية، فأشرف عليها
بنفسه، ونظم علاقته مع الدول، وفتح
السفارات، والمفوضيات، والقنصليات.

وقامت الحرب العالمية الثانية وهو أشد ما
يكون إلى فترة هدوء، ينظم فيها أمور دولته،
ورغم أنه قاد السفينة أثناءها إلى بر السلام،
فلم تعان المملكة شيئاً يذكر، رغم قسوة
الحرب على العالم، إلا أن قيامها، وما جرى
فيها، أوقف السير في استخراج النفط، وآخر
مراحل الإصلاح، التي كان يطمح إليها -
رحمه الله - ولم يبدأ الإنتاج إلا بعد أن انتهت
الحرب، فدارت عجلة الإصلاح سريعة،
رأى ثمارها قبل وفاته - رحمه الله - .

اليوم الوطني والقفزات^(١)

تداعى الأفكار على ذهن الإنسان عندما يفكر في اليوم الوطني من طريقتين أحدهما التفكير في تأسيس المملكة وتوحيدها، والثاني ما وصلت إليه من ازدهار وتطور .

وتأسيس المملكة لحمته وسداه ما أقدم عليه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بشجاعة وإيمان ، من اندفاع نحو استرداد ملك آبائه وأجداده ، وتوحيد هذه المملكة المترامية الأطراف ، ودمجها في كيان واحد متماسك ؛ إنه جهد بارع ، وخطة متقنة ، وتنفيذ اتسم بالحكمة والصبر ، وتخلق بالنظرة البعيدة ، والجرأة واليقظة ، والعمق في التفكير ، والمثابرة في الوصول إلى الهدف .

كانت عبقريته - رحمه الله - تبرز في كل ناحية

(١) نشرت في صحيفة « الندوة » في عام ١٤١٠ هـ بمناسبة اليوم الوطني .

من نواحي حياته ، في تفكيره المتقن ، وفي نظريته
للأمور ، إن أخذ بالحزم ، أو اتصف بالتسامح ،
في مبادرته أموره ، أو في تأنيه في بعضها . كانت
هذه العبقرية تبرز في مقدرته على اختيار الرجال ،
وعلى وضعهم في الأماكن التي تتلاءم مع
مقدرتهم ، وتتناسب مع طبائعهم .

كانت عبقريته تظهر في اختلاف سياسته ،
ومعاملته لمن ناصبوه العداء ، وكانت توصله
معه إلى ما ساس أمره للوصول إليه .

كان شجاعاً منقطع النظير ، ولم يمنعه هذا
من أن يستفيد فائدة كبرى من خداع الحرب ،
وهي أقوى من جهد الرجال ، وكفاءة السلاح .
كان يتصرف تصرف الملك مع من اعتبرهم
شعبه ، قبل أن يجمعهم في كيان واحد ، ثقة بالله
في أن جهوده سوف تكون مقبولة ، وأنه واصل
إلى هدفه . كان لهذه النظرة أثرها فيما بعد .

ولما تم له الأمر، ووصل إلى هدفه أثبت أنه رجل السلم مثلما كان رجل الحرب، وطد صلته بالعالم الخارجي، كما لم يقدر فطاحل السياسيين عليها، والتفت للداخل ينظمه، يقرب بين المناطق، ويرتب أمر إدارتها، وربطها بالمركز، استفاد من الوسائل الحديثة في إدارته، وتغلب على المشاكل التي قامت أمامه من جراء ذلك، في مجتمع يقصر تفكيره عن تقبل الوسائل الحديثة، إلا ممن أوصلته ثقافته أو تجربته إلى كنهها. وبدأ الإصلاح في المواصلات والتعليم والصحة والمال والاقتصاد والتجارة، في إطار أمن استتب في الجزيرة لم تشهده من قبل بادية أو حاضرة.

وبدأت العجلة تدور، ولقي ربه، واستمر البناء على يد أبنائه، مع زيادة في تقدم الإمكانات، وتوفرها حتى هذا اليوم «عهد الملك فهد».

وهو عهد عندما نلتفت فيه إلى المرافق المختلفة حولنا وما وصلت إليه ، نجد الإنجاز فريداً في المجالات المتعددة من أمن واقتصاد وزراعة وصحة وتعليم وبناء وطرق وموانئ ومطارات .

فالأمن والحمد لله يظل هذه المملكة ، التي حباها الله منه بما يستوجب علينا له الشكر ، والاقتصاد يشهد على ازدهار ما نراه اليوم في مجالاته المختلفة ، من استيراد وتصدير ومصانع ومصادر للثروات . الزراعة رأت في هذه السنوات الأخيرة ما فاق ما كان متوقعا ، ولعل قصة القمح إحدى مقاييس العناية بالزراعة ، والالتفات إليها ، إذ تعدى إنتاجها ، بتعزيد الدولة وتشجيعها ، الاكتفاء منها بالحاجة ، والصحة عمت بلادنا الشاسعة في صورها المتعددة ، وقاية وعلاجاً ، مستشفيات ومستوصفات ، مراكز تطعيم وحماية ، استعداداً منقطع النظير

لمقابلة ما قد يطرأ أيام الحج ، وما هو معتاد فيه ،
من أمراض متوقعة من تجمع عدد ضخم مثل
تجمع الحج ، في بقعة صغيرة مثل المشاعر .

والتعليم سواء كان تعليم الفتى أو الفتاة ،
تعليماً عاماً أو محو أمية ، أو تعليماً جامعياً ، أو
تعليماً فنياً ، أو تعليماً عسكرياً ، أو كان تدريباً ،
فقد بلغ الذروة التي خطط له أن يبلغها . فالأعداد
أصبحت مسقط نظر المتتبع لنهضة هذا البلد ،
مع ارتفاع في الكيف مواكب لكم . ويكفي أن
يذكر المرء أنه قبل سنوات قليلة كان الطلاب
يعدون بالآلاف ، لا يزيدون عن ثلاثين ألفاً ، ارتفع
عددهم اليوم إلى ما يزيد على مليونين ونصف ،
والجامعات التي لم يكن يتصور أن توجد وصل
عددها إلى سبع جامعات ، هذا غير الكليات المفرقة
في أنحاء المملكة ، في الأقاليم المختلفة ، وبُنيت
المدارس على أحدث طراز ، هي وما يعضدها

من معاهد للتعليم الخاص ، ومكتبات ، وإدارات
تعليم ، ووحدات صحية ، وملاعب ،
ومعسكرات ، مما أوصل ميزانية وزارة المعارف
وحدها للإنشاءات ، في خطط التنمية الأربع
الماضية ، إلى ما يقرب من سبعة عشر بليون
ريال . وعلى هذا فقس .

ونظرة إلى الجسور ، والأنفاق ، والموانئ ،
والمطارات ، والطرق ، تُري مدى الاهتمام بأمر
تسهيل الاتصال ، بين أطراف المملكة المترامية ،
مما جعل التنقل ميسوراً للأفراد وللبنائات .

هذا عدا الاتصالات اللاسلكية والسلكية ،
وخدمات البريد ، التي جعلت المملكة في مصاف
الدول المتقدمة .

هذا بعض ما يوحيه اليوم الوطني لمن يفكر
فيه ، وهو قليل من كثير . . نسأل الله أن يديم
النعمة ويزيدها .

اليوم الوطني مرصد للتقدم^(١)

اليوم الوطني علامة من علامات الزمن الواضحة في حياة الأمم، يحدد منحني مهماً بين عهدين، يكون فيها منطلقاً لعهد جديد، وهو في حياة الشعب السعودي، علامة تُري بدء عصر دخلت فيه المملكة عالمها الحديث، فيه بدأ استرداد الملك عبدالعزيز ملك آبائه وأجداده، وتوحيد أجزاء المملكة المبعثرة، يلي هذا وضع خطط الإصلاح، وبدء تنفيذها، ثم متابعة الإنجاز؛ في هذا اليوم تحاسب الدوائر نفسها، وتحصي ما أنجزت في حق الوطن، وفيه يتدبر الأفراد ما قدموه من واجب تفرضه عليهم «مواطنيتهم»، ودورهم في بناء وطنهم.

عندما نتدبر ما وصلنا إليه في «عهد الفهد» نجد قفزة في كل مجال، يراها من يقارن بين

(١) نشرت بمناسبة اليوم الوطني في صحيفة «عكاظ» عام ١٤١٠ هـ.

المنجزات في ضوء الخطط الموضوعة ، وبين ما عجزت عن تحقيقه أمم لها مثل امكاناتنا ، ومرت بزمان لا يزيد عن الزمن الذي قطعناه .

ففي التعليم وصلنا إلى مستوى نباهي به ، مستوى لم يقتصر على الكم فقط ، ولكنه تعدى بمقدرة إلى الكيف ، فأعداد الطلبة والمدرسين تعدت ما كان مخصصاً لها ، وبناء المدارس والمرافق التعليمية للبنين ، والبنات في التعليم العام ، وفي الجامعات ، قفز قفزات ، لم يكن لأحد أن يتصورها .

وفي الصناعة بنيت المصانع فيما تحتاجه المملكة ، واستغلت الخامات المتوفرة في المملكة ، ومن يلقي نظرة على ما تحقق في الجبيل وينبع ، يقر بالمعجزة التي حدثت في هذه الفترة القصيرة ، لقد قلبت الصحراء إلى بقعة حضارية ، تسامق مشاريع أعرق الأمم في الحضارات العريقة .

هذا في المصانع المجمعة، والتي بدأ إنتاجها يدخل الأسواق العالمية، منافساً ومكملاً لصناعات متقدمة في العالم، مساهماً بذلك في دفع الاقتصاد العالمي، ومشاركاً في حمل عبء العائلة العالمية.

وهناك المصانع المتفرقة في أرجاء المملكة، تحتضنها مناطق الخامات المتوفرة هناك من اسمنت، وجبس، وخزف، وغيره، وهناك المصانع التي أنشئت لتخفف عن المستلك عبء زيادة مصاريف الإنتاج والنقل والجمارك، وما يلحق ذلك من مصروفات وفرت بإيجاد المصانع في أرجاء مختلفة في المملكة.

والعمران ظاهرة شاهدة على الجهود الناجحة في إيجاد المباني المختلفة التي بدونها لا يتم الازدهار، فمن مبان تخص الأفراد، ومن فنادق، ومستشفيات، ومن جسور، ومن أنفاق،

ومن مساجد، ومن موانئ، ومن مطارات،
ومن طرق، ومن مرافق مختلفة تُرى في كل هذا
الإنجاز دور الدولة، ودور المواطن، في تلاحم
لا نظير له.

والوعي الصحي الذي بدا من شعب المملكة
الطموح إلى أن يعيش في جو صحي، قابله
تجاوب تام من الدولة، في نشاطها في المجالين
الطب الوقائي، والطب العلاجي، فقد هوجمت
الأمراض المتوطنة من ملاريا وبلهارسيا،
وجدري، وحصبا، وغيرها، بفعالية أثبتت
أن العزم، وبذل الجهد، والمثابرة، لا بد أن
تأتي بالنتيجة المقصودة؛ وهذا الوعي جعل
الشعب يتقبل الاحتياطات التي تلزمه، ليتقي
شر الأمراض، من تطعيمات، وغيرها.

وكان للمستشفيات والمستوصفات دورها
في الطب العلاجي، ووصلت سمعتها إلى

خارج المملكة لكفاءتها ، ولما تقوم به من أبحاث
انفردت بها ، أو شاركت فيها مستشفيات عالمية .

ولجهود البلديات دور متداخل مع عمل
وزارة الصحة ، والجهات الصحية الأخرى ،
فلها جهود واضحة في نشر الوعي ، وفي الحرص
على النظافة ، والتشجير ، الذي ساهم في إيجاد
جو مريح يساعد على العيش الهنيء ، والإنتاج
المتواصل .

وسعة رقعة المملكة ، يجعلها تبذل جهداً في
إبقاء كفاءة اليقظة ، لاستتباب الأمن ، سواءاً
فيما يتصل بالعالم الخارجي ، أو الأمن الداخلي ،
وما يحتاج إلى استعداد في أمور الدفاع جواً
وبحراً وبراً ، أو في حدود متطلبات الحرس
الوطني ، وما يختص به من قسط في المحافظة على
الأمن ، أو في حدود ما يخص وزارة الداخلية ،
باقسامها المختلفة ، من أمن عام ، أو حرس

الحدود، أو المرور، أو الدفاع المدني.

وللزراعة قفزة في المملكة مشهودة، رفعت كفاية الإنتاج إلى درجة الإعجاب، وقد فتحت مجالات جديدة لم تكن من قبل، فهناك زراعة الخضروات والفواكه، وتوفير اللحوم من طيور، وحيوانات، ومن تشجيع لما كان معروفاً من قبل، سواء كان ذلك في الخضروات أو الفواكه، فقد اهتمت الدولة بتشجيع زراعة النخيل، مما جعلها تنهض من جديد، ويتوقع للمملكة مستقبل باهر فيها، وتشجيعها جعل الناس، أفراداً، وجماعات، يقبلون عليها، وعلى العناية بها، ورعاية إنتاجها، فأصبح له سوق لم يكن أحد يتوقع له هذا الإقبال.

وقد حسنت الأنواع من الفواكه والخضر، وطعمت بأنواع جديدة، وأصبح هناك وعي في اختيار الأسمدة، وطرق الري، ومقاومة

الآفات ، لم يكن معروفاً من قبل .

والرخاء الذي تعيشه المملكة اليوم - والحمد لله - يدل على ما وصلنا إليه ، ومقياسه توفر المسكن ، وتوفر الملبس ، وتوفر الغذاء ، مما يجد معه الوافد إلى بلادنا امتيازاً تختص به المملكة في مناطقها ، على تباعدها ، إلا أن وسائل المواصلات ، وامتداد الطرق ، وتشعبها ، جعل حاجات الناس تصل إلى أقصى بقعة في المملكة بيسر وسرعة ، وجعل السفر على هذه الطرق ممتعاً ، وإذا كانت الجهود قد مددت هذه الطرق الرئيسية ، وشعبت منها الشعب الفرعية ، فإن الصيانة مفخرة ، تحمد المملكة الله عليها .

هذه لمحة سريعة ، تري جوانب محددة من الإنجاز ، الذي يراه من يقف في اليوم الوطني ، ويتدبر ما عليه البلاد اليوم ، ما قطعت ، وما خططت له .

جهد عبدالعزيز وجهاده^(١)

لبعض الأيام معنى خاص ، يمتاز به بين باقي الأيام ، لأنه يحمل معاني خاصة ، لها صدى مسموع في الذهن ، تخلد حدثاً يلذ للذاكرة استعادته ، وللذهن اجتراره في هذا اليوم ؛ إشعاع يسطع على بعض جوانب الحياة ، فيري فيها مفاخر وأمجاداً ، هي للقلب متعة ، وللهمة شحذ ؛ تملأ المرء ثقة بأصوله وجذوره ، لما حققوه ، وتعطيه الدافع لأن يكون مثلهم ، وتحمله مسؤولية المحافظة على ما حققوه ، وإكمال ما بدؤوه .

في هذا اليوم يقف المرء وقفة تأمل ، يتدبر ما أُرخص في ذلك اليوم من أرواح ، لبناء الصرح الكبير ، وما بذل من جهود من استعادة حق عزيز وغال ، ويُفكر في الهمم الطموحة التي وراء ذلك ، والخطط المتقنة التي رسمت ،

(١) نشرت في صحيفة «الجزيرة» بمناسبة اليوم الوطني لعام ١٤١٠ هـ .

والخطوات التي بها نفذت، والنجاح الذي
احتيز بجدارة.

هذا يوم يتتبع المتدبر فيه الخطوات، التي
اتخذها الملك عبدالعزيز، بجرأة وشجاعة، مع
فئة هي صفوة من الرجال، آمنت بما أقدمت
عليه من أخطار، فبذلت أرواحها في مغامرة
فريدة في التاريخ، كانت الخطوات الأولى محددة
وبسيطة، ولكنها من النوع السهل الممتنع،
لا يصدق المرء بنجاحها، وصدق التخطيط
لها، إلا بعد رؤية نتائجها المذهلة.

وفي ذلك اليوم تجسمت آمال الملك عبدالعزيز
- رحمه الله - كلها مجتمعة، بدؤها، وتنفيذها،
والمحافظة عليها، ودفعها، وتطويرها،
والوصول بها إلى ما يجعلها أساساً لكيان نرى
اليوم - والحمد لله - شموخ بنيانه.

كان - رحمه الله - طموحاً إلى استعادة مجد

آبائه وأجداده، وتوحيد أجزاء المملكة في نموذج
فريد، تأكد من قيامه على أساس صحيح ومتين،
وبدأ بقلب المبتدأ؛ ومحور دوران الخطة، وهو
فتح الرياض، ومنها انطلقت جهوده، معتمرة
بعبقرية فذة، تجلت في معالجته لما يعترضه من
عقبات؛ سالم وحارب، هادن وواقف، أمهل
وأسرع، حث وتأنى، شارك أو راقب، مهد
أو هاجم، أطال الحبل أو قصره، كان يختار
لكل حال ما يناسبها، يزن الأمور بميزان عقل،
هياً الله له الطبيعة الموروثة، وصقله بأداة
التجارب العميقة، فكان موفقاً في خطواته،
ووصل إلى هدفه بجهد وتوفيق.

كانت العقبات كثيرة تتناسب مع الطموح،
ومع الهدف العظيم، الذي كان يسعى إلى
تحقيقه، وعرف كيف يستحوذ على قلوب
روعتها الحروب، وأضناها السلب والنهب،

فوجدت في خطته ما يبشرها بحقن الدماء،
وخيمة الأمن والاستقرار، فاستبشرت بعهده،
وسرعان ما حصدت ثمار هذا الكد، راحة،
وطمأنينة، ورخاء، وسعة رزق.

وسار أبناؤه على نهجه، الذي اختطه، بعد
أن وحد المملكة، ورسم خطة السلم والاستقرار،
ورفعوا البناء بإضافة لبنات تتناسب مع السير
الحضاري للعالم، وها نحن نشهد في زمن الفهد
المدارس، وقد انتشرت وعمت، والجامعات
وقد تعددت وشملت، وبنيت المستشفيات
والمستوصفات، وأنشئت الطرق والسدود،
والأنفاق والجسور، وعممت المطارات والموانئ،
وبنيت المرافق للأمن الداخلي والخارجي، من
دفاع جوي وبري وبحري، ومن حرس وطني،
وأمن عام، ودفاع مدني، ومرور، وأنشئت
المدن العسكرية في أرجاء المملكة، لقوات

الدفاع ، وللحرس الوطني ، وللأمن العام ،
بما تحتاجه من مساكن ، ومستشفيات ، ومن
وسائل ترفيه في صورة يفتخر بها .

ونحن اليوم نتمتع بما أفاء الله علينا به من
هذه النعم ، ونشكره عليها ، ونستزيده منها ،
نذكر الباني الذي وضع الأساس ، وندعوه له
بالمغفرة والرحمة .



الملك عبدالعزيز^(١)

الملك عبدالعزيز شخصية فذة، يجد فيها المؤرخ مادة لا تنفد، لأن عبقريته - رحمه الله - متعددة الجوانب، وكان منها الإنجاز الضخم الذي تم على يديه، في زمن متلاطم الأمواج، متباين الأعاصير، ومع هذا قاد السفينة ببراعة، تحوطه عناية الله، وتهديه عقيدة عميقة ثابتة متأصلة، حكمت أعماله، وصبغت آراءه.

زمنه لم يكن بالزمن السهل، والظروف المحيطة ببلاده كانت شرسة ومتحفزة، إلا أنه بنظره الثاقبة المتبصرة، استطاع أن لا يقتصر في سعيه على ما تظهره الحوادث المعاصرة له، كان يدرس في ذهنه جذور المشاكل الحاضرة، ويزن نتائج الأعمال اليوم وما تبلور إليه في

(١) نشرت بمناسبة اليوم الوطني في صحيفة الجزيرة بتاريخ ٤/٣/١٤١١هـ

المستقبل ، فكان يضع في ميزانه الماضي والحاضر
والمستقبل .

وهذه صفة الأصيل ، وسجايا صاحب
الحق ، الذي يعرف أن انتزاع الحق يستحق
السعي المتأني أحياناً ، والمبادرة السريعة أحياناً
أخرى ، فلا يتوانى في الوقت الذي يستحق
الأمر المبادرة السريعة ، ولا يسرع في أمر لا
ينال إلا بالأناة والصبر ، ومد حبل الانتظار .

كان الحق الذي يسعى إلى استرداده واضحاً
أمامه ، وكان تصميمه أن يستعيده كاملاً غير
منقوص ، وكان الطريق إليه شائكاً ، ولكنه
بالنسبة له غير مبهم ، وكان يملك أهم أداة
يمكن عن طريقها أن يسير إلى الغاية ، وهي
ولاء شعب عرف آباؤه حكم آل سعود العادل ،
وذاقوا ، بسبب غيابه ، الأمرين تشريداً وخوفاً ،
وإذلالاً ، فكانوا معه قلباً وقالباً ، حتى أولئك

الذين قاوموه جهلاً أو طمعاً ما لبثوا أن حمدوا حكمه ، بعد أن رأوا حرصه على حقن الدماء ، في أعنف أوقات الحرب ، ورعايته لهم بعد ذلك ، وتقديمه لهم ، متناسياً مواقفهم ، لأنه لم يعتبرهم في يوم من الأيام إلا جزءاً من شعبه .

كانت شخصيته - رحمه الله - شخصية زعيم ، هياؤه الله ليكون كذلك ، وكانت أعماله موفقة ، لحسن النية التي كان يحملها بين طيات صدره ، وكان قائداً بارعاً جذب حوله أولئك الشجعان الأوفياء القادرين على حمل الأمانة معه ، فكوّن بهم حزباً من أحزاب الله المنصورة ، وكان حاكماً عادلاً حازماً رقيقاً ، لإدراكه بفطرته مردود مثل هذه الصفات الخيرة .

بتوفيق من الله استطاع أن يوحد اللحمة القوية بين أجزاء المملكة ، ويوحد بينها برباط ثبت مع الزمن أنه يزيد قوة ومتانة ، وبتفاعل

أجزائه وتمازجها وتداخلها أصبحت جزءاً
واحداً، ساعد على صلابته ما قام به أبنائه من
بعده من الحرص على إنشاء المرافق التي تربط
المملكة بعضها ببعض .

وفي زمننا هذا بتوجيه خادم الحرمين الشريفين ،
وولي عهده الأمين ، نرى المملكة وقد وصلت
في إنجازاتها إلى مستوى يفخر به أبناء هذه
البلاد في المجالات المختلفة ، فالتعليم خطا
خطوات واسعة ، سواء في ذلك تعليم البنين أو
تعليم البنات ، التعليم العالي أو التعليم الجامعي ،
التعليم الفني أو التعليم العسكري بقطاعاته
المختلفة .

والطرق قليل من البلدان المتقدمة ، حسب
علمي ، استطاعت أن تنجز مثل هذا الإنجاز
في حدود الإمكانيات المتاحة ، فآلاف الكيلوات
من الطرق ، والمئات من الجسور والأنفاق ،

جعلت من المملكة بلداً يفخر به مواطنوه .

ولتكمل وسائل الاتصال بين أجزاء المملكة
الترامية الأطراف ، المختلفة التضاريس ، جاءت
العناية الفائقة بالمطارات التي تشهد بالسخاء ،
بغية القوة والإتقان ، واكتمال الفائدة ، سواء
كانت مطارات مدنية أو عسكرية ، وما يتبع
ذلك من خطوط طيران ، جعلت كل جزء من
المملكة يتصل بسهولة بأي جزء آخر .

والاتصالات السلكية واللاسلكية ، وما يتبع
ذلك من بريد ، وغيره ، أخذ الدفعة القوية التي
جعلتنا ، بجانب صلتنا مع العالم ، في مستوى
يتمثل مع أرقى البلدان ، أوجدت الصلة
التامة عن هذا الطريق داخل المملكة ، ولا تزال
المملكة تواكب التطور في وسائل الاتصال ،
التي أصبحت تتجدد وتتطور في العالم سنة بعد
سنة ، في قفزات مذهشة ، فمن البرقية إلى

التليفون إلى التلكس ثم الفاكسميلي ، وأنواعه ،
والتفنن فيه يَتَرَى ، من ثابت إلى متنقل ، إلى
صغير الحجم ، يحمل في الحقيبة إلى الملون إلى ما
الله به عليم .

وزينت شواطئ المملكة بالموانئ الحيوية ،
الصغير منها والكبير ، فكان لهذه المنافذ ، وما فيها
من وسائل لتسهيل دخول البضائع وخروجها ،
ما ساهم في ازدهار الاقتصاد الذي لم تأل الدولة
جهداً في تعضيد ما ينعشه ، ليساهم في راحة
الشعب ورفاهيته .

والزراعة والجهود التي بذلت فيها ، والتعضيد
الذي نالته ، والإعانات التي بذلت ، لتسهيل أمر
الزراعة ، والإقبال على الإنتاج ، تعدت التصور
المحدود ، الذي كان يمكن أن نكتفي به .

والتجارة والاقتصاد مع الحرية التي تتبعها
المملكة ، تطبيقاً للشريعة الإسلامية فيهما ، وصلت

إلى ما يجعل المملكة تقف بين الدول التي أدت
ما يتطلع إليه من دولة تعزز بموقفها في صف
الدول المتحضرة، وتستحق أن تكون عضواً في
العائلة الدولية، ولا تكتفي أن لا تكون عبئاً
على اقتصاد العالم، بل تساهم في حمل العبء،
فتمنح وتقرض، وبشروط جعلها الإسلام في
الذروة.

والصحة من الأمور الأساسية في حياة
الشعوب، فلا عجب أن تكون محط العناية،
ومرمى التركيز، بنشر وسائلها، وتغطيتها
لأجزاء المملكة، فانشئت المستشفيات
المتخصصة، والمستشفيات العامة، والمستوصفات،
وشجع القطاع الخاص في إنشاء المستشفيات،
وأعطى القروض، التي تخفف عن كاهله العبء،
وكان للصحة العامة حقها من العناية، فحوربت
المستنقعات، ومظان الملاريا والبلهارسيا،

وأصبحت المملكة من بين الدول التي تفخر باستعداداتها في هذا المجال ، وقليل من الدول تقابل أعباءاً مثل أعباء الحج ، الذي يولّى من العناية الصحية ما يستحقه .

والصناعة مرفق من المرافق التي تقف شاهقة بين إنجازات الدولة ، فقد خطت خطوات واسعة ، في ظروف قصيرة ، وتركزت على الأمور الأساسية التي تساهم في دعم الاقتصاد الوطني ، والإنتاج المحلي ؛ واعتماد بعض الصناعات على مواد متوفرة في البيئة جعل من البيئة الصناعية قوة تزاحم بها مثيلاتها في الأسواق العالمية .

والمصانع أياً كانت طبيعتها ، وسواء كانت أهلية أم حكومية أم مشتركة ، وسواء أكانت صغيرة أم كبيرة ، فقد لعبت دورها في توفير السلع في المملكة بأسعار تدعو لاطمئنان المواطن أيضاً إلى الجودة .

ولا تقتصر الانجازات، التي ترمي إلى رفاهية
أبناء هذه البلاد وراحتهم، على ما ذكر، فهناك
أمور حيوية التفتت لها الدولة، بتوجيه خادم
الحرمين الشريفين، وولي عهده الأمين، تلمس
حياتهم في جوانبها المهمة، فقد انشئ صندوق
التنمية العقارية، الذي ساعد كل من لديه أرض
يود البناء عليها، وبشروط جعلت الإقبال
عليه منقطع النظير، مما ساهم في جعل المساكن
متوفرة، ولم يقتصر على هذا الجانب، وإنما
ساهم الصندوق في إقراض أولئك الذين
يرغبون في إنشاء عمارات خاصة، أو فنادق،
وكل هذا ساهم في وقت قصير في تفادي أزمة
المساكن، التي تعاني منها بعض البلدان، وقد
أربى ما صرفه الصندوق في عمره القصير على
(٩٠) مليون ريال.

كانت المملكة دولة محدودة الموارد في أول

نشأتها، تسير في شطف، في حدود امكاناتها،
ففتح الله لها أبواب الرزق، فأحسنت التصرف،
وبدأت البناء، فأشادته عالياً، وضربت مثلاً
لحسن الإنفاق، وحسن توجيهه، فأعطاها الله
في ظل نيّتها الحسنة، ما تطلعت إليه، نسأل الله
أن يديم نعمته، وأن يرزقنا شكرها إنه سميع
مجيب.



تراث وإرث نعتز به^(١)

رجل مثل الملك عبدالعزيز من الصعب أن يحاط بجوانب عبقريته، أما أن يختار جانب فينظر فيه، ويلقى عليه الضوء، فهذا ممكن. فالملك عبدالعزيز - رحمه الله - خرق كل القواعد التي اعتاد المؤرخون أن يضعوها أسساً يبنون أحكامهم عليها.

فهو ليس خريج كلية عسكرية، ليقال إن إنجازاته في الميدان العسكري نتيجة علم عميق درسه، وتابع ما قيل فيه، وطبقه خير تطبيق، وليس خريج كلية سياسية أحاطته بما تفتق عنه ذهن الساسة من مقدرة وحيل، ومناورات ومحاورات، وليس خريج كلية من الكليات التي تعلم علم الاجتماع، فيقال إن ما حققه

(١) المجلة العربية - ربيع الأول ١٤١٢ هـ - إطلالة على التراث - الجزء الأول - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م - ص ٢٧.

من أعمال باهرة، وتطور ملموس، على قلة
الإمكانات، وشدة الظروف، كان حصيلة ما
درسه فيها، وما اطلع عليه خلال دراسته فيها
من نتائج التجارب، وثمرات المتابعة؛ الرجل لم
يدرس في كلية حربية، ولم يدخل كلية سياسية،
ولم يتخرج من معهد لعلوم الاجتماع، بل إنه لم
يتعد حدود بلاده إلا خطوات إلى بلدان لا يختلف
ما فيها عما في بلاده، فمن أين له - يا ترى -
هذا النجاح؟

الاستعداد الفطري، بتوفيق الله، كان وراء
ذلك، كان يركز عليه في مراقبة الأمور،
وملاحظتها، والتدبر في مظاهرها ومضامينها،
واستيعاب ما توحى به إليه، من صدق في حقائقها
أو زيف، لا يشوب ذلك عاطفة عمياء،
ولا هوى مدمر، بل تجرد مدهش، ووزن للأمور
عميق، بذهن صاف وعقل واع. كان يدخر

في ضميره ما نفعه عندما حزبه الأمر ، فكان هذا
المدخر طريقه إلى المواقف الصائبة السليمة ،
نتيجة حسن القياس ، واستعمال المدخر .

وكان استعدادة الفطري ، وطبعه السليم ،
وحسن قصده ، وسلامة نيته ، تجعله يحسن
مقارنة الأشباه في الحوادث ، ويتقن قياس
النظائر ، فيما يجري حوله ، أو ما يقابله من
أمر تحتاج إلى المعالجة والمقابلة .

وكان استعدادة الفطري ، وطبعه السليم ،
يبعدانه عن الجمود ، والوقوف عند طريقة
واحدة ، يعالج بها كل أمر يقابله ، وكل قضية
يبت فيها ، لأن لكل حادث عنده حديثاً ، ولكل
واقعة ما يناسبها من التصرف ، حتى أذهل
معاصريه ، وأدهش المتصلين به ، فلا يتنبؤون
بما سوف يفعله في أمر قابله ، وقد يشككون في
صواب أمر اتخذه ، وقرر فيه ، في أول الأمر ،

ولكنهم لا يفتؤون يدركون صحة قراره،
ويتأكدون من صواب رأيه، ويرون نجاح
عمله، ويدركون أنهم كانوا في واد من الخطأ،
وهو في واد فسيح من الصواب، وأن الأسس
التي بني عليها تصرفه، لا تخطر إلا على بال
عبقري مثله .

كان استعداد الفطري، وطبعه السليم مما
يجعله يقظاً، حذراً، خاصة إبان تكوين المملكة،
وبناء الكيان، فلم يكن يتراخى أو يغفل، أو
يتكل على أحد، كان اهتمامه بالأمر الصغير
يتساوى في الجهد والالتفات مع الأمر الجلل،
همته قعساء واحدة، صبغتها طبيعته، ولونها
ما اعتاد عليه .

وهذا الباب - في المجلة العربية - عن التراث
وإطلالته على جيلنا، والملك عبدالعزيز وأعماله
لها صلة بالتراث الذي نعتز به، ونسير في

هديه ، فعمله - رحمه الله - في حدود نصوص الدين ، وهو تراثنا المجيد ، وفخرنا الثابت التليد ، فلم يخرج الملك عبدالعزيز عما رسم القرآن ، وهدت إليه السنة .

وبجانب هذا كانت أعماله تتطابق مع ما سار عليه الحكام الناجحون ، وما قاله الحكماء العارفون ، وحثوا عليه ، في ازدهار الحكم والملك ، فكان ما يفعله يتماشى مع ما نصحوا به ، ويتطابق مع ما قالوا بنجاحه ، فالحكماء قالوا : إمام عادل خير من مطر وابل ، وكان - رحمه الله - عادلاً ، يضرب بعدله المثل ، في وقت ندر فيه من يحكم بالعدل ، والعدل أساس الملك ، وجاء حكمه العادل بعد فترة ذاق الناس فيها الويل والعنت من حكام متفرقين ، وسبل غير أمنة ، وفتن متتالية ، وأطماع لا تنتهي ، وحروب لا تني ، فكان عهده مطراً بعد جدد ، وخصباً

بعد جفاف .

وقالت الحكماء : مما يجب على السلطان أن يلتزمه : العدل في ظاهر أفعاله ، لإقامة أمر سلطانه ، وفي باطن ضميره لإقامة دينه . وكان الملك عبدالعزيز عادلاً في ظاهره وباطنه ، ولم يكن - وهو الشجاع - ما يظهره غير ما يبطنه ، والشجاعة في هذا الميدان أشرف منها في ميدان القتال ، فلم يخفي غير ما يظهر ، وهو الواثق من تصرفه ؟

وقال أردشير لابنه :

يا بني إن الملك والعدل أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالملك أسُّ ، والعدل حارس ، والبناء ما لم يكن له أسُّ فمهدوم ، والملك ما لم يكن له حارس فضائع . يا بني اجعل حديثك مع أهل المراتب ، وعطيتك لأهل الجهاد ، وبشرك لأهل الدين ، وسرك لمن عناه ما عناك

من أهل العقول. ^(١)

وكان أردشير يأخذ أقواله من أفعال الملك
عبدالعزیز، فهو ملتزم للعدل، وله مستشارون
على مستوى مشرف، ويقدر المجاهد في أي
حقل، ويعلي مكان حملة الشرع، وليس سره
مباحاً لكل أحد.

وعبقريّة الملك عبدالعزیز ليست فقط في أنه
وضع أسساً للملك الناجح، والحكم الراسخ
الأساس، ولكنه أوجد مدرسة تخرج منها
أبنائوه، وتفاعلوهم مع مستجد الأحداث بالملكة
التي أكسبهم إياها. أدام الله عليهم وعلينا
نعمه، ووفقهم في خطوهم إلى النفع العميم.

(١) سراج الملوك: ١٩٦.

اليوم الوطني بزوغ فجر^(١)

مجرد كلمة وطن توحى بالتلاحم بين الفرد والأرض التي يقف عليها، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، هذه الصلة تجعل أحدهما يعطي الآخر أقصى ما عنده من الخير، هذا بالعناية والرعاية، وهذا بالمردود؛ والمجتمع حزمة من أفراد، تكبر مع كثرتهم الوطنية، وتتشعب، وتكوّن حضارة لها سماتها، ولها مظهرها بجوانبها المختلفة.

ولو نظرنا إلى بلادنا، فيما أعطيناها، وفيما أعطتنا مقابل ذلك، لوجدنا أن وفرة العطاء، وجودته، متبادل. فالدولة تخطط، وتوجه وتتابع، وتراقب، والكل يعمل معها على توفير الراحة، والاطمئنان، وقد قطعنا منذ العام الماضي، مثلما فعلنا في الأعوام السابقة،

(١) نشرت عن اليوم الوطني في عام ١٤١٣ هـ.

شوطاً بعيداً في تنفيذ الخطط، التي وضعت بتوجيه خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده الأمين، وأبدت همة في أن يكون لكل جانب من جوانب الحياة نصيبه من التنفيذ، في حدود المقدرة، والإمكانات.

واليوم الوطني علامة من العلامات التي عندها يقف المقوم لمعرفة محصول العام في سنة، ويقارن ذلك بما مرّ من سنوات، ويعرف مدى الجهد المبذول، والحصيلة المجنية.

وإذا نظرنا إلى المجالات المختلفة، التي لم تهمل الدولة واحداً منها، بل أعطته ما يستحقه من رعاية، ومن متابعة، ومن دفع إلى ما يوصل إلى الهدف المرسوم، نجد أننا قطعنا شوطاً نفخر بأن نبرزه، ونشيد به، وبالعاملين على إنجازه.

والمرافق العامة تشهد على ذلك، سواء كان ذلك في الطرق، أو الجسور، أو الموانئ، أو في

تخطيط المدن ، والعناية بمرافقها : من شوارع ،
وأرصفة ، ومجاري ، أو فيما فيه استجابة لجوانب
الحضارة ، التي نعيشها : بما في ذلك المساجد ،
والمدارس ، والمستشفيات ، والأسواق ، وما
يقوم به القطاع الخاص من متاجر ، ومبانٍ سكنية ،
ومحطات بنزين ، وما يوفره من متطلبات التجارة ،
والتبادل التجاري ؛ والمصانع والكهرباء ؛
شهدت هذه من العناية ما أعطاها دفعة قوية ،
حتى أصبحت تضاهي غيرها في المجالات ،
التي تخرج عند المقارنة عن الأقليم ، ومحدوديته .

ولا ننسى الأمن الذي هو الإطار الحصين -
بإذن الله - الذي في ضوئه ، وفي حمايته ، تزدهر
المشاريع ، وتأخذ طريقها إلى التنفيذ ، دون أن
يخشى عليها من الاهتزاز ، أو الارتباك ، أو
النقص .

والجوانب التي دُفعت إلى الأمام متعددة ،

وما هذه إلا أمثلة منها .

ولعل التعليم وهو يلمس حياة كل فرد كبير، أو صغير، ذكر، أو أنثى، يستحق منا هنا وقفة متأنية، ومقارنة بين ما كنا عليه في يوم من الأيام، وما كان عليه طموحنا، وما وصلنا إليه اليوم، مما سيكون مقدمة لما سنكون عليه غداً - إن شاء الله - من بلوغ الأهداف من أيسر الطرق، وأسهلها، وأقصرها .

عندما بدأ التعليم في أيام الملك عبدالعزيز بدأ وأبرز ما فيه النية الطيبة، والرغبة الأكيدة في نشر العلم، وتهيئة المتعلمين، ولم تكن الإمكانيات بشرية، أو مادية، تسمح إلا بطموح محدود من التحصيل والنتيجة في هذا المجال .

ولهذا كان الأساتذة يُفرحُ بمن يوجد منهم بأي مؤهل يتميز به صاحبه عن حوله ممن لم يتعلم، وتجمع للدولة مجموعة من المدرسين

الفضلاء ممن لا يحمل شهادة بمعناها اليوم، ولكنهم كانوا من الجد والاجتهاد، وتكوين أنفسهم، بحيث تخرج من تحت أيديهم رجال أصبح لهم صفة عالمية في بعض المجالات، فهذا لم يكن عائقاً، لأن التصميم للوصول إلى الهدف كان قوياً.

وبقي الأمر ينتشر تدريجاً في حدود الامكانيات التي تتوفر، وكان من العوائق، التي أوقفت المملكة عن أن تبعد في طموحها، قيام الحرب العالمية الثانية، أما الانطلاقة الحقيقية للتعليم فجاءت مع تأليف أول وزارة للتعليم، وكان أول وزير لها خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - فبدأ التعليم يأخذ منحىً جديداً، وركز على التوسع، طويلاً وعرضاً، كمّاً وكيفاً، وانتشرت المدارس، والتحق بها آلاف الطلاب، في المناطق المختلفة.

وأبدت هم قعساء ، للتغلب على المشاكل
التي تنشأ عادة في المجتمعات ، التي لم تتعود على
أمر لم تكن تعرفها مما تحتاج تجاهها إلى هضم ،
واستيعاب ، وكانت الحكمة متوفرة في اتخاذ
الوسائل الناجحة ، للاستفادة منها ، لتسهيل
الصعاب ، والتغلب على ما يقوم منها ، سواء
جاءت من المال ، أو وعورة الطرق ، أو اختلاف
المجتمعات ، وتباينها .

ثم أصبح هناك وعي يسبق الناس فيه
الامكانيات ، وجاء وقت أصبحت الدولة تفتح
كل ثلاثة أيام مدرسة ، وجُلب المدرسون من
خارج المملكة بالآلاف ، ثم التفت إلى تهيئة
المواطن السعودي ، ليقوم بواجبه في هذا المجال ،
حتى وصل عدد المدرسين السعوديين اليوم فوق
ستين ألف ، بعد أن كانوا يعدون على الأصابع .
وأصبح عدد الطلاب في خانة الملايين ،

والمدارس بالآلاف. وشمل التعليم العام:
ابتدائية، ومتوسطة، وثانوية، البنين والبنات.
وتقارب عدد البنين مع البنات، رغم أن
تعليم البنت لم يبدأ إلا بعد سنوات عديدة من
بدء تعليم الأولاد، ولكن الوعي سرعان ما
سد الفجوة، سواء في خانة الطالبات، أو في
خانة المعلمات.

وفي سبيل اكتمال التعليم، في جوانبه
المختلفة، التفت خادم الحرمين الشريفين -
حفظه الله - وهو حينئذ وزيرٌ للمعارف، إلى
التعليم الجامعي، إذ أنه رأى ببصيرته الثاقبة
أنه ما لم يوجد مصدر عال للقوى العاملة، في
كل المجالات، فسوف نبقى عالة على ما يأتينا
من خارج البلاد.

وكان طلابنا يجدون صعوبة - رغم جهود
الدولة - في الالتحاق بالجامعات في الخارج،

فصدق العزم لإنشاء جامعة، فانشئت، ثم تبعتها أخرى، بعد أن تبين أن هذا الأمر لا يعسر على همم الرجال، وتتابع إنشاء الجامعات، حتى بلغت سبعة، نورها يشع على بلادنا، ولخارج بلادنا منها نصيب وافر.

ثم سدّ النقص، في بعض المناطق، بإنشاء كليات متخصصة، تمثل في مجموعها ما يقرب من ثلاث جامعات، هذا عدا كليات البنات، التي تلعب دوراً بارزاً، في تهيئة المتخصصات، في المجالات الجامعية، التي تحتاجها بلادنا.

والوعي الذي ارتفع مستواه في مجتمعنا، نحو التعليم، بعث إلى التفكير في سد كل فراغ كان مقبولا في الماضي، فمثلاً الأمية لم يكن ينظر إليها في الماضي النظرة التي ينظر بها إليها اليوم، والطموح في القضاء على الجهل أوجب الالتفات إلى محو الأمية، وتعليم الكبار،

الذين لسبب أو آخر، تأخروا عن ركب التعليم .
والنتائج للجهود المبذولة في هذا المجال
مذهلة، مما يجعل المسؤولين يبذلون أقصى
الجهود، لمقابلة متطلبات هذا المجال .

وفي وقت مبكر التفت للتعليم الخاص،
والتغلب على أسباب الإعاقة، أيّاً كان نوعها،
عمى أو صمماً أو بكماً أو تخلفاً عقلياً، وأولت
الدولة هذا الجانب عناية خاصة فائقة، ليصبح
الفرد مفيداً لنفسه، ولوطنه، ولما في ذلك من
جانب إنساني، تحرص هذه الدولة، وهي حامية
الإسلام، أن يكون دورها فيه بارزاً، وفعالاً .
فانشئت لأجل ذلك المدارس، والمعاهد،
والمراكز اللازمة لمثل هذا التعليم .

ورأت الدولة أن القطاع الخاص يمكن أن
يلعب دوراً يليق بمواطنين، يتصفون بصفات
هذا البلد الخيرة، ففتحت الباب للمواطنين

من القطاع الخاص ، في المساهمة في التعليم ،
بفتح مدارس خاصة ، تقابل طلبات بعض
الذين يرغبون في هذا النوع من التعليم .

وشجعتهم بالإعانات ، وبالكتب ، وبالمديرين ،
وبالإشراف على مدارسهم ، ووضعت من
الشروط لإنشاء هذه المدارس ما يكفل نجاحها ،
وأداءها لمهامها ، على الوجه الأكمل .

وانتشر التعليم في القرى القريبة ، والبعيدة ،
وساعد تمهيد الطرق إلى الوصول إلى أبعد
الأماكن ، وأوعرها ، وأعسرها ، ولم تقف طبيعة
أي أرض صعبة عائقاً أمام التعليم ، وجُمع طلاب
بعض القرى ، والهجر ، في مدارس مجمعة ،
حتى يكون الجهد المبذول ناجحاً ، ومفيداً .

وبعد . .

فإن محاسبة كل قطاع لنفسه ، ما بذله ، وما
عاد منه ، يجعل المرء يحمد الله - سبحانه وتعالى -

على توفيقه، ويسأله أن يديم نعمه الظاهرة،
والباطنة، على هذه البلاد، وأن يبعد عنها
الشرور، ويهيء لها الأمن والاطمئنان، لتتمكن
من تنفيذ خططها بمقدرة وكفاءة، إنه جواد
كريم. والحمد لله رب العالمين.

اليوم الوطني راية رفعت

أوجد الله سبحانه وتعالى في الإنسان ما يشبه
الغريزة في النزوع إلى الوطن وحبّه ، وهذا يجعله
يقدره حق قدره ، يرضى له الخير ، ويستमित
في دفع الأذى عنه ، يفرح عندما يراه في عز
وسؤدد ، ويحزن إذا ما تعرض وطنه ، ومسقط
رأسه ، للإهانة والذل ، ولا يشعر بعزّة ، وعلو ،
مادام وطنه يعاني من تدن أو سوء ، ولا يشذ
عن هذا إلا المريض ، المختل النفس .

وتجد الإنسان السويّ يسعى ليكون فرداً
نافعاً في وطنه ، يعطيه من نفسه ما يشعر أنه
واجب عليه تجاهه ، وتقصيره في المجال ، الذي
يستطيع أن يبذل فيه نفسه ، يؤنبه عليه ضميره ،
وتنفر منه نفسه من أجله .

وعلى متن هذا الشعور ، والرغبة ، تكسب

البلدان من أبنائها، وتقوى وترقى، وبقدر ما يبذلون، من أنفسهم، وما تعطيه إياهم كفاءتهم، وما يصل إليه طموحهم، تتبوأ البلدان مكانها على خريطة الإنجاز العالمي.

والدين يحث على حب الوطن، لأنه المجال الذي يتواجد فيه المسلم، ويتهيأ له فيه ما يستطيع في إطاره أن يقوم بشعائره، على الوجه الذي يرتضيه، ويكون حراً في القيام بواجباته الدينية، وواجباته الدنيوية، في ظل التعاليم الإلهية، والبلد غير المسلم حب الوطن فيه إطاره القانون، والأنظمة، التي يرتضيها إطاراً لحياته، ويحميها من أن يُفرض عليه، من غير بلاده، ما لا يرتضيه منها.

واليوم الوطني يصبح، على هذا، علامة يقف عندها مجهود، ويبدأ مجهود، ينتهي عندها مجهود سنة، وحصيلتها من جهد أبنائها

على اختلاف فئاتهم، ويتلفتون عنده، ليروا
ما أنجزوا، وما أكملوا من مشاريع سبق أن
خططوا لها، وأحسنوا، وما بقي مما يحتاج إلى
وقت، وعناية، ورعاية، ويبدأ مجهود سنة
قادمة، يحكمه ما يوضع من خطة لهذه السنة،
تدفعها إلى الأمام المقارنة بين ما أنجز، وما
يحتاج إلى إنجاز.

ولعله من المفيد أن نأخذ من التعليم مثلاً
يُري ما وصلنا إليه، وما نطمح إليه، في حدود
ما نستطيعه في ضوء الزمن والإمكانات.
ونستنبط من البيانات، وما تبينه من عدد
المدارس، والمدرسين، والطلاب، والمرافق
المختلفة، من وحدات صحية، ومكتبات،
وملاعب، وأقسام داخلية، ما يفيدنا.

ونظرة سريعة إلى بعض الإحصاءات تُري
أن المملكة، في هذا الوقت القصير من عمر

التعليم فيها، قد قطعت شوطاً ملحوظاً، في المجالات المختلفة في هذا الحقل الواسع: حقل العلم والمعرفة، وقد تعدى عدد الطلاب ثلاثة الملايين ما بين طالب وطالبة، تضمهم أكثر من سبعة عشر ألف مدرسة. أما المدرسون فتعدى عددهم مئتي ألف مدرس ومدرسة.

والتفاته لمثل هذه الأعداد من الدولة تكشف مدى العناية التي يوليها خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده الأمين، لهذا المرفق المهم، في بلادنا العزيزة، فقد خُصص للتعليم ما يزيد عن خمسة وعشرين ملياراً، وهي نسبة من الميزانية، تتكلم بلسان طلق، على مدى إدراك أهمية التعليم، وما يرجى من ورائه من خير للبلاد.

ولتكمل الصورة يحسن أن نشير إلى عدد الإداريين الذين يقع على عاتقهم عبء المساعدة في تسيير دفة التعليم، ويقفون خلف المدرسين

في عملهم النبيل ، سواء كان ذلك في وزارة المعارف ، أو في رئاسة تعليم البنات ، أو في غيرهما ، وقد زاد عددهم عن خمسة وعشرين ألف موظف .

والزيادة السنوية المضطردة ، في المرافق التعليمية المختلفة ، تكاد تكون ثابتة على بعض النسب سنوياً ، فالمدارس تزيد بما يقرب من ٥ , ٢ ٪ ، والفصول بزيادة ٥ ٪ ، والتلاميذ بما يقرب من ٦ ٪ ، والمدرسون ٧ ٪ ، هذا عن المرحلة الابتدائية ويمكن أن يؤخذ منها مقياس لبقية المراحل .

وقد صُفِّيت في السنوات الماضية الأخيرة معاهد المعلمين ، بعد أن ارتقى مستوى المعلم ، وحلّت محلها كليات إعداد المعلمين ، التي وصل عددها إلى ست وثلاثين كلية ، للبنين ، والبنات ، يدرس بها من المدرسين عشرون ألف طالب ،

وفيهما من المدرسين ما يزيد على ألفي مدرس .
والتعليم الخاص يجد الرعاية اللائقة به ، وقد
بلغ عدد معاهد التعليم الخاص أربعين معهداً ،
يتعلم فيها ما يقرب من خمسة آلاف طالب ، في
معاهد المكفوفين ، والأمل للصم ، ومعاهد
التربية الفكرية ، وبها من شاغلي الوظائف
التعليمية ما يقرب من ألفي مدرس ومدرّسة .
وتعليم الكبار ، ومحو الأمية ، جانب من
التعليم ، ينال حظه وافياً من الرعاية ،
والالفتات ، وقد بلغت مراكزه ألفين وثلاث
مئة مركز للبنين ، والبنات ، وفيه من الفصول
ما يصل إلى سبعة آلاف فصل ، ويدرس بها
فوق مئة الألف طالب ، وطالبة يقوم بتدريسهم
ثمانية آلاف مدرس .



الملك عبدالعزيز لم يذره ربه فزداً^(١)

الملك عبدالعزيز أحد عظماء الرجال في العصر الحديث، وعظماء الرجال مادة خصبة للمؤرخين والباحثين، وسيجد كل باحث يتصدى لحياة الملك عبدالعزيز وجهاده شيئاً جديداً يُضيفه إلى ما قد قيل عنه من قبل، لأن عمر جهاده مديد، ومليء بأنواع الأحداث، فإذا كتب عنه كاتب مقالة استوجب منه الاختصار على جانب واحد من حياته، لأن التصدي لأكثر من جانب يبهظ المقالة، ويحملها أكثر من طاقتها، إلا إذا أخذ الإطار العام لحياته، وأعطى فكرة مختصرة شاملة تفيد من لم يسبق له أن عرف الملك عبدالعزيز، أو أراد أن يجدد معلوماته.

قام الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بجهده في

(١) نشرت في مجلة الحرس الوطني بمناسبة اليوم الوطني، ونشرها جاء في ربيع الآخر ١٤١٤هـ.

استرداد ملك آبائه وأجداده من منطلق إيمانه
في حقه وحقهم في ذلك ، وبإيمانه بأن حكمهم
الإسلامي هو خير حكم يمكن أن يقام في الجزيرة
العربية ، مهبط الرسالة ، ومشرق شمس نور
الإسلام ، فاطمأن - وهذه نيته - أن الله معه ،
وأنة سوف يسهل له كل أمر صعب ، وما عليه
إلا أن يبذل الجهد ، ويقوي عزمته ، ويتذرع
بالصبر ، ويأخذ الأمور بما يوصله إلى النجاح ،
ويرسي سفينته على ميناء السلام ، فأخذ أحياناً
بالحزم ، والشدة ، وأحياناً باللين واللطف ،
يضع كل نوع من السياستين في المكان المناسب .

كان - رحمه الله - عبقرياً ملهماً ، يزن الأمور
بموازين دقيقة ، حباه الله بمَلَكة جاءت من فطرة
فطره الله عليها ، وصقلتها التجارب والمحن ، التي
مرت بالجزيرة في فترة من الفترات . فساعده
هذا على الوصول إلى حكم صائب في أي أمر

عاجله ، وكان سريع التصرف عندما تأتي الرياح
بما لا تشتهي السفن ، يعالج ما مال من الأمر
بسرعة فائقة ، تدهش فطاحل السياسة من
حواله ، ومن هم أبعد منهم .

لقد وضع - رحمه الله - في ذهنه خطة لتوحيد
المملكة التي رسمها في ذهنه ، وشملت ما كان
يوماً ملكاً غير منازع لآبائه ، ودأب على تنفيذ
الخطة باصرار وثبات ، فلم يُقدِّم أمراً كان في
خطته متأخراً ، ولم يؤخّر أمراً كان متقدماً ، كان
له «استراتيجية» متفوقة ، فلم يقدم على عمل ما
لم يضمن أعلى درجات النجاح فيه ، وكان يُعذِّرُ
لنفسه إذا ما جره منافسه ، أياً كان ، على الدخول
في أمر لم يحن أوانه ، أو ليس فيه له مصلحة ،
فكان يقبل التحدي بعد أن يكون أظهر من
العزوف عن العنف ، ما يجعل العاطفة معه ،
وضد عدوه .

ولم يشنه - رحمه الله - عن هدفه معوق من المعوقات التي كان من الطبيعي أن تنهض لتسد عليه الطريق، فلا المال وشُّحُّه، ولا السلاح وقلته، كانت في يوم من الأيام من المشتبّات له عن التقدم لما وقف نفسه عليه. وقد ترجى مثل هذه الأمور خطوة من الخطوات، ولكن نيته الحسنة كانت تجعل مثل هذا التأخير يأتي في نهاية الأمر في صالحه، إما باختلاف الأمر على عدوه، أو بقوته هو قوة لم يكن يتوقعها، كأن ينضم إلى صفّه من لم يكن معه.

وكان لشخصيته أثر على تسيير الأمور، لأنه كان يتصرف مع من يضمه تحت جناحه تصرف الوالد الحنون، فكانت المنطقة التي يضمها تشعر براحة كبيرة لدخولها تحت مظلة حكمه، مقارنة بما كانت عليه من قبل.

لهذا كانت مقاومة المناطق التي وقفت في

طريق توحيد المملكة لا تعدو الحكام ، أما أهل تلك المناطق فكانوا يؤملون أن يكون لهم منه ما كان لمن سبق أن انضم ، ولهذا سرعان ما تمت الوحدة بين أجزاء المملكة ، فأصبحت وحدة متكاملة ، من طراز فريد ، ولا شك أن اختيار النمط الإسلامي للحكم كان عاملاً أساسياً في نجاح القصد .

وكان أثناء كفاحه يدرس الرجال الذين معه ، والذين انضموا إليه ، والذين سلموا له ، فلما انتهى الكفاح العسكري ، ووضعت الحرب أوزارها ، وقبل أن تتوطد الأمور ، وبعد أن توطدت ، كانت عنده حصيلة مجزية من الرجال الأكفاء ، وضعهم في الأماكن التي تصلح لهم ويصلحون لها ، فلم يحتاج إلى كبير وقت ، لينتقل بجهد من ميدان القتال إلى ميدان الإصلاح ، ووضع الأسس لحكم مدني ،

متكامل الجوانب، متفق مع الفترة التي يمر بها
زمانه، مراعيًا الوضع الداخلي في الجزيرة،
وصلته بجيرانه، ومكان المملكة في الخريطة
الدولية، التي صمم أن يكون جزءاً مهماً فيها.

وأصبحت التفاتاته كثيرة، مرة لداخل بلاده،
ومرة لخارجها، وزاد نشاطه وتنوع، واقترب
وابتعد، وحدّ من طموحه قلة ذات اليد في هذه
الجزيرة الجرداء، إلا أن السّلم الذي خيم على
المملكة، بعد توحيدها، ساعد على نهوض الزراعة
والتجارة، وأمنَ السبل ساعد على سهولة
التحرك بين المناطق المختلفة، مما ساهم في
التكامل بينها في المنتجات، وسد الاحتياجات.

وأصبح حجم المملكة - رغم تباعد الأجزاء -
ميزة في مقدراتها على الاكتفاء الذاتي في الجوانب،
التي تعودت على أن تكتفي منها بما تنتجه.

وأمن السبل طمأن الحجاج على حياتهم

وأموالهم، فأقبلوا، يقضون حجبهم، ويتزودون، بأعداد لم تتعود مكة والمدينة عليهما، فكان لذلك أثره على الازدهار في التجارة الداخلة والخارجة، وساعد على رفد إضافي نعمت به مكة والمدينة، مما ساهم في إزاحة عبء مالي كبير عن الدولة الحديثة، وواكبه انفتاح الأبواب للتجارة مع الهند، عن طريق الخليج، أو مباشرة عن طريق موانئ المملكة على الخليج والبحر الأحمر، وانتعشت هذه التجارة، بعد أن كانت ركدت، بسبب الأحداث داخل الجزيرة، وبسبب الحرب العالمية الأولى.

وباستتباب الأمن، وتوحيد المملكة، تفرغ الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لوضع الأسس للحياة المدنية، وما تحتاجه من خطط، وما يلزمها من تنظيم وترتيب، وتقرير الأولويات في حدود الامكانيات المتاحة، سواء كانت مالية أو بشرية،

وساعده الأمن واستقراره، على دخول رؤوس الأموال على قلتها في ذلك الوقت، وقلة مجال الاستثمارات في المملكة، إلا أن ما ساعده أكثر كان عودة كثير من المتعلمين من أبناء الجزيرة من أماكن استقرارهم في البلدان المجاورة، خاصة في جنوب العراق، حيث استقر بعضهم مع عائلاتهم، ونعموا ببعض التعليم هناك، وقد سدّ مجيؤهم فراغاً كبيراً، وجده الملك عبدالعزيز عند بدء تأسيس ملكه، وقد عمل بعضهم معه وقريباً منه في ديوانه، الذي كان هو «الدينمو»، الذي يدير هذه المملكة المترامية الأطراف.

وقد أدب الملك عبدالعزيز هؤلاء الكتاب والموظفون بأدابه، وصبغ أعمالهم بالصبغة التي اختارها، فعملهم مثل عمله كان متواصلاً، ليل نهار، لا يفترّون ولا يشكون، وكانوا يشعرون

معه بشرف الخدمة، ويشعرون أنهم معه في مدرسة يتعلمون فيها ما لم يتعلموه في غرف الدراسة المبدئية، التي مروا بها في مدارسهم خارج المملكة.

وكانوا، كما كان، وكما أرادهم، مع نشاطهم، أمناء على عملهم، خيرين، مثله، فيما يوكل إليهم من عمل، وكانوا يرون حبه لشعبه، فيسيرون في أعمالهم في هذه المظلة.

ثم رأى بثاقب فكره أن يحتضن شباباً وفدوا عليه من البلدان العربية المجاورة المستعمرة، فأعطاهم الفرصة أن يخدموا أمتهم في حدود جهودهم بخدمتهم إياه، والمساهمة في معالجة الأمور الخارجية التي كان - رحمه الله - يقدمهم في وضع الأسس لها وتنفيذها، فوجدوا فيه الأب الحنون، والحاكم العادل المخلص لرسالته، فأخلصوا له العمل مثلما فتح ذراعيه لهم

عندما جاؤا إليه بعضهم لائذاً، وبعضهم معجباً، وعاشقاً للسياسة التي انتهجها الملك عبدالعزيز خطةً، مرضية له، يرى فيها السداد والنجاح لما نواه في ذهنه، وقرره في عزمه على الإصلاح والنهضة ببلاده.

ثم - وهو في وطيس معركة الإصلاح، والنهوض بالمملكة - نشأت على العالم سحابة سوداء داكنة، ما فتئت أن رمت بظلمها البشع على المملكة، مثلما أثقلت بكلكلها على العالم، وهي الحرب العالمية الثانية، هذه الحرب أجفلت الطائر في موقعه، والحيوان في مرتعه، والإنسان في مخدعه، فأبيست الرطب، وأمضت الحي، وأوقفت السابلة، وقطعت الصلات، وأخافت الأمم. وعانت المملكة من ذلك، فقد تناقص الحجاج، وانقطع بعضهم، وكسدت التجارة، وانقطع مغذيها، ويئس صاحبها، وبدأت

المملكة حياة تقشف ، لم تكن غريبة عليها .

لم تكن الشدة مقتصرة على الغذاء والكساء ،
ولم يكن ما بالناس من همٍّ لذلك أكثر من الهمِّ
الذي حمله الملك عبدالعزيز في أمر السياسة ،
وهو بين قُوى ، كل واحدة منها تطمع فيه ،
وكان عليه أن يحاذر في خطوه من الأشواك ، التي
زرعها الوضع الدولي القائم ، وقد قاد السفينة
بنجاح - رحمه الله - رغم دقة المواقف التي مر بها ،
وقاوم الإغراءات البراقة ، التي أبدأها بعض
ضحلي التفكير ، وقاوم - رحمه الله - أن يتورط
فيها ، وحافظ على السياسة التي اختطها في
الابتعاد عن عدااء من لا يستطيع أن يساويه في
الإمكانات والقوى .

وكان لاحترامه لمعاهداته وتعهداته ، وابتعاده
عن التحيز ، والانفعال العاطفي ، ولركونه إلى
العقل ، والسياسة الحكيمة السليمة ، أثر كبير

على علاقاته بالدول الكبرى، وكان لموقفه تقدير واضح، عاد عليه في نهاية الأمر بالاحترام والتقدير.

وسار في الإصلاح أثناء الحرب في حدود إمكاناته المحدودة، وساعده هذا على وضع الأسس دون عجلة أو فجاجة؛ ولهذا بعد أن انتهت الحرب، وبدأت الأمور العالمية تعود مياها إلى مجاريها، كان هو قد قطع شوطاً بعيداً فيما أراد أن يضع له الأسس، فانطلق بعد ذلك يكمل ما بدأ.

كان من أهم الأمور لديه بعد توحيد المملكة أن يضع الأسس لحكم مدني يتناسب مع العصر الحديث، في إطار الدين الإسلامي الحنيف، حتى لا تفقد البلاد وصفها وطبيعتها، فوضع نموذجاً للحكم الإسلامي، فريداً في عصرنا الحاضر، وكان الأساس الذي وضعه قوياً، حافظ عليه

أبناؤه، ومشوا فيه، يطورونه، في حدود ما
رسمه والدهم، مما ارتضته الشريعة، وامتدحه
الدين الإسلامي الحنيف. وشمل الإصلاح،
ووضع الأسس لهذا الحكم في هذا الاطار،
عدة نواح أهمها:

○ التعليم:

وضع نواة للتعليم تثمر عدة ثمار، أولها
إسعافه بمتعلمين يحملون معه العبء، الذي
ارتضى حملة، فشجع التعليم الديني، وأغدق
عليه الأموال، وأكرم العلماء حملة هذا العلم،
فكان من حصيلة ذلك المدرسون والقضاة،
والمستشارون الشرعيون، وأئمة المساجد، ثم
سارع - رحمه الله - بإنشاء المعهد العلمي
السعودي، فكان للمتخرجين منه نواة حملت
عبء الإدارة المدنية، في نواح عديدة من المملكة،
وساهموا في التدريس في المدارس النظامية

الحديثة، التي سرعان ما بدأ نشرها في المملكة، بدأت بعدة مدارس تحضيرية وابتدائية، في مكة والمدينة والطائف وجدة، ثم توسع في إنشاءها في كبرى بلدان المناطق المختلفة.

وأدرك - رحمه الله - الحاجة إلى التعليم الجامعي، فأنشئت مدرسة تحضير البعثات في مكة المكرمة، فصارت هي والمعهد السعودي تتلقى من أكملوا دراستهم في المناطق المختلفة، ثم ابتعثوا فيما بعد، عندما انتهت الحرب العالمية الثانية، إلى مصر، فعاد الخريجون، ليحققوا الأمل، الذي كان يتطلع إليه - رحمه الله - ومات - عليه رحمة الله - قبل أن يرى تاج أعماله الخيرة سبع جامعات في بلاده، وكليات مختلفة منتشرة في أنحاء المملكة، متنوعة التخصص، تعطي آلاف الخريجين ممن أخذوا يحملون العبء، الذي وسعه التطور، الذي

وصلت إليه المملكة، التي وضع أساسها،
وتعهد أبنائه، بأمانة وحب ومقدرة، على
جعلها في مقدمة أخواتها من الدول العربية .

○ الجيش:

لم يكن جيش الملك عبدالعزيز في أول أمره
نظامياً، وكان أشبه بجيش المتطوعين، إما
بادية أو حاضرة، وسرعان ما استفاد - رحمه الله
- من السلاح الحديث لهم من بنادق حديثة،
ورشاشات ومدافع، ولكن بكميات محدودة،
وبأنواع غير متقدمة، ولهذا سارع - رحمه الله -
بإدخال النظام الحديث في أول فرصة سنحت
له، سواء كان ذلك في الشكل والتنظيم
والتدريب أو في المعدات والسكنى .

وسرعان ما اتخذ الجيش وضعه الجديد،
مماثلًا في ذلك الدول الحديثة، يطوره تدريجاً
بقدر ما تسمح الإمكانيات المالية، والقدرة على

اختيار السلاح والحصول عليه .

وواكب هذا التفاته مماثلة للشرطة التي سرعان ما أخذت الشكل الحديث المعتاد، ووكل أمرها إلى رجال يثق بهم - رحمه الله - ساهموا في تقديم هذا النوع من القوة إلى المناطق المختلفة، التي كانت ترى في هذا شيئاً غريباً على مجتمعها، إلا أنها سرعان ما قبلته، وعرفت قيمة هذه الخطوة المهمة، التي لا غنى عنها لمملكة ترنو إلى أن تكون دائماً في المقدمة .

وكان من الأمور التي اهتم بها - رحمه الله - صلاته بالخارج، فأسس الجهاز الذي تابع تنفيذ سياسته - رحمه الله - في تأسيس الممثلات في الخارج، وتنظيمها في الداخل، وأدى به ذلك إلى تأسيس إدارة قوية سرعان ما أصبحت وزارة وكل أمرها إلى ابنه الملك فيصل - رحمه الله - فكانت ثاني وزارة في المملكة التي لم يكن

بها وزارات حينئذ .

وكانت الإدارات في المجالات المختلفة
تقوم مقامها، خاصة وأن المناطق المختلفة
بأماراتها وأمرائها مربوطة رأساً به - رحمه الله -
ورغم وجود وزارة الخارجية، للأمور التي
تحكم أمور السفراء والسفارات، إلا إنه -
رحمه الله - احتفظ لنفسه بالمرح في هذا الأمر،
فكانت الشعبة السياسية في ديوانه تعمل
مباشرة في أمور السياسة الخارجية، وكان يدير
أمورها بنفسه، ولا يمر أمر دون أن يكون له
الكلمة الفاصلة فيه، بدءاً أو انتهاءً.

لهذا اعتُبر - رحمه الله - معلماً بحق، لأنه
وضع الأسس لحكمه، ودرّب من معه على
السير عليها، بأن جعل من نفسه قدوة دائمة،
في تنفيذ هذه السياسة، التي وضعته في صف
العابرة.

هذه لمحة خاطفة سريعة عن الملك عبدالعزيز ،
تعطي فكرة شاملة لبعض الأسس ، والخطوات
التي اتخذها لتأسيس المملكة العربية السعودية ،
وتثبيت أركانها ، وقد نجح في تأسيس مملكة
إسلامية فريدة في عصرنا الحاضر ، وقد أحبه
شعبه - رحمه الله - وأعجب به من عرفه من
خارج بلاده .

أما حب شعبه له فمن منطلق اعترافهم
بالفضل ، الذي ساقه الله لهم على يديه ، فأمنوا
بعد الخوف ، واغتنوا بعد الفقر ، وتعلموا بعد
الجهل ، ولقد آخى - رحمه الله - بينهم بعد أن
كانوا متناحرين ، وقرب بينهم بعد أن كانوا
متباعدين ، وجعل منهم أمة واحدة متماسكة .

أحبه أولئك الذين عاصروا عهد الخوف ،
وانعدام الأمان ، ذلك العهد الذي كان لا يستطيع
فيه المرء الانتقال من بلد إلى بلد ، إلا تحت راية

حرب، ولا يسلم فيه بلد من غارة قوي على
ضعيف، في اجتياح يأكل الأخضر واليابس،
دون خوف من الله ولا وجل، وكان هذا بسبب
ضعف الحكم المركزي، وتقسيم المناطق إلى قوى
مفتعلة، انهكت الناس، وأرعبتهم، وأياستهم
من حياة هائلة كريمة، ولهذا، لما نصره الله،
وأخذ بيده، ورأوا ما كسبوا على يده، أحبوه،
واستماتوا معه، في سعيه لإقرار الأمن، وزرع
الطمأنينة، والقضاء على الفوضى، التي كانت
سائدة، والحياة المزرية، التي كان يحياها الناس.

ومن أراد أن يعرف ما كانت عليه الحال في
تلك الحقب السوداء، والأزمان الداكنة،
فليرجع إلى كتاب الكاتب المعروف محمد بن
عبدالله بن بليهد وما أثبتته في كتابه: «صحيح
الأخبار عما في نجد من الآثار» الجزء الخامس،
ففيه ثلاث مذكرات تبدأ من صفحة ٢٧٢ من

الجزء الخامس ، الطبعة الثانية ، وسيرى نموذجاً
مختصراً لتلك الحياة التعسة التي كان الناس
يحيونها ، في ظل الفوضى ، واختفاء الأمن ،
والعبث السائد ، وعدم وجود حكومة مسيطرة
حكيمة .

هذا الإنجاز المذهل ، الذي أنعم الله به على
الملك عبدالعزيز وشعبه ، وفيأه ظلاله ، ويسره
على يديه ، ومتعته بثماره ، كان أول التوفيق ،
إذ أعقبه انتهاء الحرب العالمية ، واكتشاف
البترول بكميات جعلت من المملكة دولة مصدرة
له ، مما مكنها من مردوده أن تبني مرافقها ،
وترفع مستوى معيشة شعبها .

واليوم ونحن ننعم بالخير العميم ، بفضل
الله سبحانه وتعالى ، ثم بالسياسة الحكيمة التي
وضع أسسها الملك عبدالعزيز ، وتبعه في
المحافظة عليها أبناؤه ، لندعو الله للملك

الراحل بالرحمة، والجزاء الأوفى، على ما قدم
وما أنجز، وأن ندعو لخدام الحرمين الشريفين
وولي عهده الأمين وأعضادهما من إخوانهما
بالعمر المديد بالخير، والصحة والتوفيق، وأن
يأخذ بيد هذه البلاد إلى مدارج الرخاء والسؤدد،
فهو القادر على ذلك، وهو نعم المولى،
ونعم النصير.

اليوم الوطني صدى كفاح^(١)

اليوم الوطني رمز مضيء في حياة الأمم،
لأنه يحدد بدء كيان الوطن، ويمثل منعطفاً
واضحاً في تاريخ الأمة، يتحدد فيه انتهاء
فترة، وبدء فترة، ويحدد انتهاء عراك ونزاع،
رافقه جهاد وعناء، كلل بالنجاح؛ فالיום
الوطني، على هذا، له صدى في الأذهان، يأتي
من بعيد صوت يذكر بالعناء والتعب، وما مرّ
على مؤسس الوطن، ومن معه من معصديه
ومساعديه؛ وما حققه بعد ذلك من أمن وسلام،
وطمأنينة ووثام، وما تتابع بعد ذلك، من
إصلاح في ربوع الوطن، وتطوير في مرافقه،
ورقي في القوى البشرية من تعليم وصحة،
وخدمات اجتماعية. ومن تثبت لأمن الدولة

(١) نشرت في صحيفة «الجزيرة» يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الآخرة ١٤١٥ هـ
الموافق ٢٠ سبتمبر ١٩٩٤ م بمناسبة اليوم الوطني.

الداخلي، وحفظ أمنها الخارجي، ومن إيجاد
صلات لها مع الأمم الأخرى، عن طريق
إقامة أعمدة قوية في العلاقات الدبلوماسية،
ومشاركة في الهيئات الدولية، مشاركة فعالة،
تليق بالسمعة، وتبعد الصيت، وتوجد رنيناً،
حلو النغمة، في أرجاء المعمورة، وهو ما كان
من المملكة على يد مؤسسها الفذ، ذي العبقرية
المتعددة الجوانب، فقد كان الملك عبدالعزيز بن
عبد الرحمن الفيصل آل سعود رجلاً عبقرياً فذاً،
لم يُكتب عن جوانب عبقريته الكتابة الوافية
المحللة.

جاء الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في وقت
كانت المملكة منقسمة أجزاءً والسلطة موزعة
بين هذه الأجزاء؛ كل قسم يحكمه حاكم غير
مستقر، لمنافسة أهله وعشيرته له، ولما يقوم
بينه وبين جيرانه، من تنازع وطمع، يغذيها

جهل وفقر .

وكان الأمان مفقوداً داخل المدن ، والطرق مخوفة ، وكان المسافرون لا يسافرون إلا جماعات خوفاً من سطوة القبائل ، وتعدّهم . وكان من يحج ويعود يعتبر مولوداً جديداً ، لأن السرقة والنهب متركز على طريق الحاج ، وتكاد تكون حياة أهل الصحاري ، التي يمر بها الحجاج قائمة على نهب الحجاج وسرقتهم ، حتى إن أمير الحاج يأتي معه بسرية مستعدة ، ومع هذا فأطراف القافلة لا تسلم من النهب والاعتراض .

وكانت الحال الاقتصادية في وضع سيء ، لعدم انتظام تبادل السلع ، وبيع المحصول ، وكان المحصول نفسه يتعرض للأذى ، نتيجة الوقائع ، التي تقوم بين البادية والحاضرة ، وبين الحاضرة بعضها بعضاً ، مما جعل الناس في شظف من العيش ، يبحثون عنه في أبسط صورته ؛

وكثرت الهجرات إلى الهند والعراق والشام
لطلب الرزق، والبحث عن الأمان والسلامة
أحياناً.

واقصر التعليم على أبسط صوره من التعليم
الديني، ولم يكن الوقت يسمح بالتعمق فيه،
إلا لأفراد قلائل، كانوا سرج المجتمع، في
ظلمة كانت مسيطرة، وكان طالب العلم
يرحل بعيداً عن وطنه طلباً للعلم، وبحثاً عن
مظانه؛ يتحمل المشاق والغربة في سبيل ذلك.

ولهذا، لما استطاع الملك عبدالعزيز في وقت
قصير بالنسبة لتكوين الدول، أن يوحد المملكة
لم يجد في الميدان من يكفي عدداً، ومقدرة، على
تحمل المسؤولية الثقافية والعلمية والتعليمية،
وصار يستعين بأقل المتبصرين في الدين، يسد
بهم خانات القضاء، والعمل في الديوان
الملكي، ووزارة الخارجية، ووزارة المالية،

وهما الوزارتان اللتان كانتا قائمتين في حياته ،
ينضم تحت وزارة المالية أغلب الدوائر الأخرى ،
من عسكرية ، وأمنية ، وصحية .

وقد عاد عدد من الذين نالوا حظاً من العلم
في القراءة والكتابة والحساب ، فاستفاد منهم -
رحمه الله - فائدة كاملة ، وساهموا في حمل العبء
المدني ، خير مساهمة . ولهذا اهتم أول ما اهتم
به - رحمه الله - بالتعليم ، فزاد في عدد المدارس
النظامية في الحجاز ، لما رأى من فائدتها ، ورتب
التعليم الديني ، ليخرج قضاة ومعلمين .

وسرعان ما آتت هذه الجهود ثمرتها ، وبدأت
تخرج أعداداً قليلة ، ولكن مساهمتها كانت
كبيرة ، لأنها بدأت تسد ثغرات مهمة في مجال
أعمال الدولة ، ثم أبعد طموحه - رحمه الله - إلى
فتح الباب للدراسة الثانوية ، للتعليم المنتظم ،
والتعليم الديني ، فلعبت مدرسة تحضير البعثات

في مكة المكرمة ، والمعهد العلمي السعودي ،
دورهما المتوقع ، وبدأت بجانب تخريج أعداد ،
تساهم في العمل في أنحاء البلاد ، تعد للابتعاث
للخارج .

في هذا المنحنى من سير البلاد الطموح ،
قامت الحرب العالمية الثانية ، فحدث من هذا
النشاط العلمي والثقافي ، لما تسببت فيه من قفل
الأبواب ، للابتعاث المنتظم سنوياً ، كما كان
مخططاً ، ومن قفل مسارب الإزدهار الاقتصادي ،
والتبادل التجاري ، فوقفت التجارة مع الهند ،
وما حولها ، وقل الوارد من الشام والعراق ،
وانقطع الحجاج ، إلا القليل ممن يجازف ويأتي ،
فيبقى ضغثاً على إباله على البلاد .

ولكن الله - سبحانه وتعالى - سرعان ما رفع
البلاء عن البلاد ، وعادت العجلة تسير ؛
وسارت بقوة ، لتعوض ما فاتها ، بسبب الوقفة

الطويلة التي وقفتها، وبدأت البعثات تتدفق
منتظمة كل عام إلى مصر، ثم إليها وإلى لبنان،
ثم انفتح باب إلى انجلترا وأمريكا.

درجت العجلة بسرعة فائقة، وبدأت نتائج
هذه الجهود تعطي أكلها، وكان من حسن
حظ التعليم أن تولى أول وزارة فيه - بعد وفاة
الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بعد أن أنشئت
الوزارات، ونظمت، الملك فهد - حفظه الله -
فأولاه عناية فائقة، فعل مثل ما فعل والده،
استقبل الخريجين، ووضعهم في المراكز الرئيسة
في الوزارة، وأعطاهم ثقته في المساهمة في تنفيذ
الخطة، التي رأى أنها توصل إلى ما تطمح إليه
البلاد، من مواكبة أخواتها من الدول العربية،
التي سبقت إلى التعليم المنتظم.

بدأ تعميم التعليم، ونشره في المدن والقرى
والهجر، بمراحله الثلاث، فأخذت كل منطقة

تنعم بالتعليم ، ولم يعد طلابها ، مثل ما كان قائماً من قبل ، يرحلون إلى المناطق الرئيسة ، معانين للغربة ، بعيدين عن أهلهم . وكان لذلك أثره إذ ساعد على بقاء السكان في مناطقهم ، بدلاً من الارتحال إلى عواصم المناطق ، أو إلى عاصمة البلاد .

وبقيت رعاية خادم الحرمين الشريفين منذ ذلك الوقت إلى اليوم للتعليم ، يتابع مده ، ويرعى شأنه ، ويفتح له الأبواب ، ويقضي على المشاكل ، ويحرس سيره ، ويوجه نهجه ، ويعلي شأنه بجانب المرافق الأخرى ، لأهميته لكل منحي من الحياة .

وفي مرحلة من المراحل ، أدرك - حفظه الله - أن التعليم ، وقد توسع هذا التوسع ، وانتشر هذا الانتشار المبارك ، يحتاج إلى تاج يوضع على رأسه ، فكانت أول جامعة أنشئت في الرياض ،

ثم تلتها أخرى، ثم الثالثة، ثم رابعة، حتى أصبحت اليوم سبع جامعات، تفاخر المملكة بمستواها، وتتمتع البلاد بمرافقها المختلفة، بمساهمة خريجيها، كل في مجال عمله.

واليوم، ونحن ننظر إلى ما قطعتة المسيرة التعليمية، نجد أن الطلاب في التعليم العام زادوا على ثلاثة ملايين طالب وطالبة؛ والذين هم في الجامعات زادوا عن مئة وعشرين ألف طالب. وبدلاً من أن نذهب إلى الجامعات الخارجية، أصبحت الجامعات السعودية تستقبل بعض الوافدين إليها من الخارج، ثم سرعان ما بدأت هذه الجامعات تشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه.

وإذا نظرنا إلى هذه الأعداد، مقارنة بما كانت عليه قبل خمسين عاماً - وهي قصيرة في عمر الدول - دهشنا من القفزة، لأن طلاب

التعليم العام ، عندما بدأ الملك عبدالعزيز - رحمه الله - جهوده كانوا يعدون بالمئات ، والمدارس على أصابع اليدين ، ولم تكن للبنات مدارس . واليوم عدد طلاب التعليم العام وطلابه بالملايين ، والمدارس تزيد على خمسة عشر ألفاً ، والمدرسون ، وكانوا لا يصلون المئة ، زاد عددهم عن مئتي ألف من بنين وبنات ، والعدد الأكبر منهم ومنهن من أبناء المملكة .

اليوم الوطني وقفة تأمل ، ولحظات تدبر وتبصر ، ومقارنة وموازنة ، تصاحب كل ذلك الدهشة ، والاستغراب ، ويتبعها الوعد بأن يتضاعف الجهد ، وأن ينافس اللاحق السابق ، فلا يقل عنه ، في إعلاء لبنات الصرح ، والإضافة إلى قوته وصلابته .

واليوم الوطني فوق كل ذلك لحظة شكر ، وحمد لله الواحد الأحد ، الذي منّ ، فأجزل ،

وأعطى فأكثر ، ونسأله دوام النعمة ، والرضى
والقبول ، إنه جواد كريم .

اليوم الوطني ذكرى بهجة^(١)

اليوم الوطني يوم يستعيد الناس فيه سابق تاريخ بلادهم وحاضرها، ويقارنون بين ما تركوه خلفهم، وما يتطلعون إليه أمامهم، يتذكرون فيه كيف كانت بلادهم أمارات متنافرة متناحرة، وكيف أصبحت دولة واحدة، يسود أجزاءها الأمن والرخاء والتكاتف والتعاقد؛ يتنقل الناس بين أجزائها سفراً وإقامة، تتساوى نظرهم من جزء إلى جزء.

يتذكرون كيف كان الأمن مفقوداً بين الأجزاء المتعددة، وبين المدن المختلفة، وبين القرى، بل إن الواحد منهم، في كثير من الأوقات، لا يستطيع أن يخرج خارج مدينته، أو يجتاز أسوارها، والسفر لبلد آخر قد يحتاج سرية

(١) نشرت في مجلة «اليمامة» في ذكرى اليوم الوطني ١٤١٦/٤/٢٨ هـ، العدد ١٣٧٣ الأربعاء ١٤١٦/٤/٢٥ هـ.

تحمي المسافرين؛ وكان التطاحن على أشده
بين البلدان، وبين الحاضرة والبادية.

يتذكرون في اليوم الوطني كفاح الملك
عبدالعزیز - رحمه الله - ونضاله، للـم الشعب،
وإعادة الأمن إلى نصابه، وتوحيد أجزاء
المملكة كما كانت عليه أيام آبائه وأجداده،
وما قام به من جهود، وما خاض من حروب،
وما أقدم عليه من مغامرات، وما سلكه من
سبل، حتى تحقق له ما أراد.

توحدت تحت رايته المملكة، وأصبحت
جزءاً واحداً تمثلت فيه دولة مسلمة قوية،
تطبق شرع الله، وترفع راية الدين، وتنشر
العدل، وتعلي كلمة الله.

وهي جهود مقدرة، عاش الناس في ظلها
في أمن عام، وازدهار يتنامى مع مرور الوقت،
استمر يرعاه، ويعتني بجوانبه، ليطمئن أن

الهدف خلف الجهد قد تحقق ، وأنه قام على
أسس ثابتة .

التفت بعد أن وطد أركان الدولة ، وأسس
الملك على قاعدة ثابتة قوية ، إلى إصلاح جوانب
المجتمع في المجالات المختلفة ، فالتفت إلى كل
جانب ، فأولاه ما يستحق من رعاية ، في حدود
الامكانيات ، فأسس أجهزة الأمن ، بأنواعها
المختلفة ، ووضع الأسس لجيش منظم قوي ،
يتسلح بالأسلحة ، التي توجب الاطمئنان ،
وراحة البال .

ولم يخل عهد الإصلاح الاجتماعي من
صعوبات ، تسببت بها قلة ذات اليد ، بسبب
النزاع العالمي حينئذ ، ومع هذا فقد التفت -
رحمه الله - بجانب الأمن والدفاع - إلى التعليم ،
فأرسى قواعده ، ووسع رقعته ، وزاد في
مؤسساته ، وبثها ؛ فبالمتعلمين استطاع أن

يبني جهازاً إدارياً، يتناسب مع هذه المملكة الحديثة، المترامية الأطراف .

وكان الأساس الذي وضعه في كل جانب من جوانب المجتمع، قوياً ثابتاً، بنى عليه أبنائه من بعده صروحاً شاهقة، وانطلقوا بالبناء والعمران، خطوات بارزة، فعاشت البلاد مرحلة من مراحل الإزدهار .

وجاءت الدفعة القوية من خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده الأمين - حفظهما الله - فجاءت الخطط المتوالية، عن التنمية، فشهدت البلاد إنجازات مذهشة في المرافق المختلفة، فعمت أنحاء البلاد، دانيها وقاصيها، مدنها وقراها، وهجرها . فأنشئت الموانئ والمطارات والمستشفيات والمدارس والجامعات، وعبدت الطرق، وأقيمت السدود، والجسور، وشجعت الزراعة والصناعة والتجارة، فوصلت المملكة

في وقت قصير إلى ما جعلها محط الأنظار في
كثير من المجالات الحديثة .

إن من عاش في أوائل زمن الملك عبدالعزيز
- رحمه الله - وعاصر ما نراه اليوم من إنجاز،
ليدرك الفرق الكبير بين أمس واليوم، فيدعو
لمن مضى بالأجر والثواب، ولمن نرجو أن يمد
الله في عمرهم، وينعم عليهم، بالصحة والعافية،
ويسبغ عليهم نعمه، بالتوفيق والسداد، ودفع
العجلة إلى الأمام . والله الموفق .

الملك عبدالعزيز رمز الوطن الحبيب^(١)

الملك عبدالعزيز - رحمه الله - رجل فذ،
وعبقرية نادرة، وشخص متميز؛ أذهل عارفه،
وحير من حوله، وأعجب من سمع عنه.
إنجازاته ضافية، وخططه متقنة، وأهدافه
ثابتة واضحة. أنجز ما لم ينجزه قبله أحد،
ووصل إلى غرضه من أقرب طريق، وحقق ما
أمل في أسرع وقت.

لم يكتب عن الملك عبدالعزيز، شخصاً،
وقائداً، وملكاً، ما يشفي الغليل، أو يوفيه
حقه، لأنه كبير في نيته، وكبير في طموحه،
وكبير في سيره إلى هدفه، ولأن هدفه غالٍ وكبير،
ومن كتب عنه استطاع إلى حد ما أن يعطي لمحة،
أو يوفي جانباً من جوانب شخصيته الفريدة.

(١) نشرت في جريدة «الأنباء» بمناسبة اليوم الوطني لعام ١٤١٦هـ.

إن مما يجعل الملك عبدالعزيز كبيراً في كل أمر أتاه، وفي كل أمر تطلع إليه، وفي كل أمر حققه، صعوبة الوقت الذي ظهر فيه، وكثرة الأعداء، الذين يتربصون به وبعائلته الدوائر، ويتمنون أن يقضوا على كل بارقة انتعاش تبدو من هذه العائلة الكريمة، التي اغتصب منها حقها، فقد كان الأعداء كثيرون، وبينهم من هو من القوة بحيث لا يطمح قائد أن يأخذ منهم قطميراً، فهم معضدون في كل جانب من جوانب الاستعداد الحربي؛ ومن بينهم قوتان كانتا حديث الجزيرة العربية: حائل وخلفها الدولة العثمانية، وحكومة الحجاز وخلفها الإنجليز.

كان الملك عبدالعزيز متسلحاً برضى الله، ثم بنيته الطيبة، وأنه ما قام إلا ليسترده ملك آبائه وأجداده، فهو يطالب بحق ثابت، ويريد

لهذا الحق عند استرداده، أن يكون محمياً أمام الأعداء، وأن يكون في داخله آمناً مطمئناً؛ المعيشة فيه وارفة الظلال، والأمن ضارباً أطنابه؛ ولا يتم هذا إلا بالجهد والعرق والتضحية، والصبر، وإبعاد اليأس، وإضمار نشر العدل بين الناس، والحكم الحازم المنصف.

لم يكن عنده من السلاح ما يكفي طموحه، ولم يكن عنده من المال ما يغطي احتياجات تحركه، وتموين جيوشه، ولكن ولاء الحاضرين، وبعض البادية، كان سنداً مواتياً؛ لأنهم عرفوا أن لا منقذ لهم إلا الله - سبحانه وتعالى - ثم الملك عبدالعزيز.

وقد ملوا الحياة التي كانوا فيها، حياة الخوف المتناهي، والذل المسيطر؛ فلا يستطيع أحد أن ينتقل من بلد إلى بلد، أو من قرية إلى قرية، إلا في ظل علم سرية يحميه، يتجمع الناس تحت

الرايات للحج ، ومع هذا فقد لا يسلمون من قطع الطريق ، ومهاجمة السابلة .

كانت القبائل تجوب الجزيرة تنهب وتسلب ، ويشتد أوارها في سنوات القحط والشدة ، والقبائل إذا لم تجد من تغير عليه ، وتأخذ منه ، أغارت على أقرب القبائل لها ، وألصق العشائر بها .

ليس هناك إلا ناهب أو منهب ، والصدى اليوم عدو غداً ، حسب المصلحة والحاجة ، وقد مر على الجزيرة ، بعد الدولة السعودية الثانية ، عهد مظلم ، تمنى الناس أن يبعث الله من يلم الشمل ، ويجمع القوى ، ويقضي على الفوضى ، والخوف ؛ فجاء الملك عبدالعزيز ، فشعر الناس أنه الرجل الذي يؤملون فيه أن يأخذ بيدهم ، فمدوها له قوية ثابتة مخلصه ، ووقفوا معه في أوقات الرخاء ، وأوقات الشدة .

خاض غمار الحروب بقوة وعزم، وناطح
بجيوشه الجيوش، وعارك القوى؛ اليوم في
ميدان الحرب، واليوم الثاني في ميدان السياسة،
والיום الثالث ينظر في أمور رعيته، والمجتمع
الجديد، الذي بدأ يتكون، ويأخذ شكلاً
طبيعياً، مختلفاً عما قبله، تملؤه الثقة بنفسه،
وبقائده الحكيم، ويسيره الولاء والإخلاص،
وتحوط به الإنجازات المتتالية، والآمال
العريضة تسبقه، ورعاية الله تكتنفه.

عرف الملك هدفه، فوضع الخطط للوصول
إليه، وعرف المعوقات، فوضع الخطط للتغلب
عليها، وعرف المدن وما تحتاجه للتغلب على
تحصينها ومقاومتها، وعرف البادية وطبيعتها،
وعرف كيف يعالج نقص ولائها، وعرف
كيف يستفيد مما بينها من حزازات، وثارَات،
وطموح، فاستغل كل هذا، لتقليم أظفارها

عن الشر ، وتوجيهها للخير .

كان يهاجم العدو حسب خطة يضعها ،
فإن انتصر ، كان هذا قوة في جانبه ، وإن لم يحالفه
النصر ، لم يفت هذا في عضده ، بل زاده تصميماً
وعزماً ، فغير من خطته ، وأعاد الكرة في وقت
آخر ، وفي موقع آخر ، كان - رحمه الله - عنيداً ،
لا يستكين ، ولا يُسلم ، كان يحرص ألا يهنا
عدوه بالنصر ، ويحرص على أن يضرب الضربة
السريعة ، فيضيع على عدوه النصر ، أو بعضه ؛
لأنه - رحمه الله - كان يقدر ما تفعله الروح
المعنوية بالجيوش .

كان يتجه يميناً فيضرب العدو ، حتى
يرضى العدو بالسلامة ، ثم يتجه يساراً إلى غيره ،
فيجعله مثل العدو الأول ، ثم يعود للأول .
وفي كل غزوة أو سرية ، يقودها بنفسه ، أو يختار
لها من يقودها ، يكسب أنصاراً جديدين ،

فيقوى فوق قوته ، وهكذا أصبح عزمه يقوى ،
وهدفه النهائي يقترب ، حتى تم له ما أراد ،
ووجد الجزيرة ، وأدخلها عهداً لم تعهد مثله في
الأمن والرخاء ، والتماسك .

وبعد أن انتهت الحركات العسكرية ،
بصعوباتها المختلفة ، من نقص في السلاح ،
ومعدات الحرب ، من مدافع وغيرها ، ومن
قلة في المؤن ، ووسائل النقل والتحريك ، ومن
ضغط في الموارد ، بسبب الحرب العالمية الثانية ،
وما أحدثته من شلل في الاقتصاد العالمي ،
التفت الملك عبدالعزيز - رحمه الله - للإصلاح
الداخلي بأنواعه ، وكان شغله الشاغل ، منذ
أن بدأ عمله لتوحيد المملكة ، وكان يأتي منه ما
يستطيع ، في حدود إمكاناته المتوفرة حينئذ ،
ولكنه بعد أن خف عنه عبء العمل الحربي ،
التفت بكل قواه للإصلاح بأنواعه : الإداري ،

والاقتصادي، والاجتماعي، والمالي؛ وأعطى جزءاً من وقته وجهده للعمل الدبلوماسي، لإدراكه بأهمية ذلك، وقد نجح نجاحاً كبيراً، وبرهن على أنه الرجل الأول في هذه البقعة من البلاد العربية، مثلما كان القائد الحربي الأول.

أدرك - رحمه الله - أهمية التعليم، لما فيه من تنوير للأذهان، يهيئ لنقل شعب بأكمله من الجهل إلى العلم، وإلى إدراك كل فرد لواجبه الديني والوطني، وهذا يساهم في تعاون المواطنين لرفع شأن وطنهم، ومساعدة الدولة في ذلك، ويكفي أن يعرف كل مواطن دوره، فيقوم به، فيضع بذلك العبء عن كاهل الدولة.

والجانب المفيد في تعليم الناشئة أنه سوف يضع على عاتقهم خدمة مجتمعهم؛ لأن المتعلمين النافعين في هذا المجال كانوا قليلين، وإذا وجد منهم عدد في الحجاز، وفي نجد، فإنهم

لا يسدون الحاجة، ولا يقابلون الطموح الذي
كان يتطلع إليه - عليه رحمة الله .

فكان لابد من الالتفات لهذا الجانب، فأمر
بإنشاء المدارس، والمعاهد العليا، وشجع
حلقات التدريس في المساجد، وعلى يد العلماء،
ليملأ بهم المحاكم، التي سوف تكون في أشد
الحاجة إليهم، بعد الاستقرار، وبعد أن حل
الدين وأحكامه، محل السيف وطغيانه .

انتشرت المدارس تدريجاً، واختار لها - رحمه
الله - رجالات صالحين، مخلصين، استطاعوا
أن يلبوا رغبته، بالتخطيط والتنفيذ .

وبدأ الأمر بتعميم المدارس الابتدائية، ثم
المتوسطة، والثانوية، وعند وفاته كان بعض
الطلاب الجامعيين بدءوا يعودون بأعداد وافية،
ليساهموا في النهضة المقبلة، وكانوا عند حسن
الظن، وأصبحوا نواة للوزارة، عندما أنشئت

بعد وفاته مباشرة .

ومثلما تم في التعليم ، وهو محور الإصلاح ،
تم في التطوير المالي بسك النقود ، وتنظيم
الميزانيات ، وإنشاء الإدارات المالية ، وتطوير
الطوابع ، والجمارك ، وتحسين الموائى ، وفي
الاقتصاد عموماً ، خصوصاً بعد أن وضعت
الحرب العالمية الثانية أوزارها ، وبدأ التدفق في
البضائع من الهند ، وما جاورها ، والبلاد
العربية المختلفة .

لقد وضع - رحمه الله - الأسس لنهضة نشهد
اليوم نضجها ، يرعاها أبنائؤه ، ويسرون فيها
إثر خطوه الموفق ، عَيْنُهُمْ على أهدافه النبيلة ،
لخدمة هذا الشعب الوفي ، الذي قدر ما قام به
الملك عبدالعزيز ، وخدمه الخدمة المخلصة ،
لما أدركه من فضل له بعد الله ، في استتباب
الأمّن ، وجلب الرخاء .

ومن يرى المدن اليوم بعمرانها، والطرق
بطولها وسعتها، وحسن إنشائها، والفنادق
المتازة، بأعدادها الكثيرة، والمطارات الحديثة،
والمستشفيات المتخصصة، وتأمين المياه،
وتشجيع المشاريع التجارية والصناعية، وتعدد
الجامعات، وما تمنحه من أعلى الشهادات،
وما تخرجه من أعداد، وما أنفق في توسعة
الحرمين، وما أدخل على بنائهما من تحسين،
وما أنشئ من موانئ، وما بني من مدن صناعية،
ومدن عسكرية، ورأى هذا التوسع العمراني
للمدن، وتطوير القرى والهجر إلى مدن فيها
أحدث التجهيزات، ووسائل المعيشة، وما عليه
الأسواق من ازدهار، والمشاريع التجارية من
نجاح، يعرف مدى قوة الأساس، الذي وضعه
الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وتعهده أبنائه
بالمحافظة، والتطوير، فبنوا عليه ما جعله

صرحاً شامخاً.

ومن قارن ما كانت عليه أجزاء المملكة
الموحدة قبل ثمانين عاماً، بما هي عليه اليوم،
بعد توحيدها، وتطويرها، يدرك مدى الجهد
المبذول، وحسن النية، التي تكمن خلف
ذلك، والإصرار في أن لا تقف، وأن تستمر في
هذا السير الحميد، راجياً من الله التوفيق،
والعون، إنه على كل شيء قدير.

اليوم الوطني إشعاع وضياء^(١)

اليوم الوطني علامة تهدي إلى منحنى منير
في سير الوطن ، ومرحلة مشعة في تاريخه ، وهو
في المملكة العربية السعودية يوم أغر ، حدد
عملاً مجيداً ، وهو توحيد الملك عبدالعزيز
- رحمه الله - أجزاء المملكة ، وهي أجزاء كانت
ملك آبائه وأجداده من قبل ، كانت مجتمعة ،
ومنتظمة في عقد واحد ، ولكن مرت بها ظروف
قاهرة ، بعثرتها ، وفصلت أجزاءها ، بعضها
عن بعض ، وباعدت بينها ، وبذرت بينها
أسباب الشقاق ، وزرعت الفتن ، وقاتل بعضها
بعضاً ، وكاد بعضها لبعض ، فانطحن الناس
بين هذه القوى المتعاركة ، بادية وحاضرة ،
وعانوا شدائد مهولة ، وأحداثاً مؤلمة .

(١) نشرت في مجلة الحرس الوطني بمناسبة اليوم الوطني لعام ١٤١٦ هـ .

ولما كبر الملك عبدالعزيز، ونضج، شمر
عن ساعد الجد، وأخذ على عاتقه استرداد ملك
آبائه، وإعادة الوحدة لأجزاء المملكة المتناثرة،
ليعود معها الأمن والاستقرار، الذي عرفته في
وقت مضى، وأصبح أمام عينيه - رحمه الله -
هدفاً صمم ألا يقصر جهده عن الوصول إليه،
بل يضيف إليه ما يجعله يتماشى مع الزمن الحديث،
وما يتطلبه من معاهدات مع الدول المجاورة،
ومعاهدات دولية، ومشاركات عالمية.

وقد قابلته - رحمه الله - صعوبات جمة، وعقبات
كأداء، أوجبت عليه أن يدخل حروباً، يشيب
لها الوليد، ومعارك طاحنة، أذهبت الأنفس
والأموال، أثبت خلالها أنه كفيء للتغلب
على كل ما يقف في طريقه، وتبينت لمن حوله
عبقريته، ذات الجوانب المتعددة، عبقرية في
رسم الهدف، وفي التخطيط للوصول إليه،

وفي وضع الخطط ، وفي تنفيذها .

ولم يتوان - رحمه الله - في سبيل ما آمن به ،
وسعى إلى تحقيقه ، فهو يخرج من معركة إلى
أخرى ، وينتهي من حرب إلى أختها ، مرة مع
هذه القبيلة ، ومرة مع أخرى ، ومرة مع منطقة ،
ومرة مع أخرى ؛ ومرة مع مدينة ، ومرة مع أختها .

وهكذا عاش ردحاً من الزمن وهو فارس
ميدان ، يغزو ، ويكسب ، ويضع الأسس المدنية
لما كسبه ، ويرتب الأمور لما وضع يده عليه ،
فتنعم تلك المكاسب في ظل حكمه بما لم تعرفه
في ما مضى من سنوات ، وأصبح الناس يتشوقون
إلى حكمه ، وإلى دخول بلدانهم تحت رايته
المنصورة .

ولهذا فبمجرد أن يكسب النصر على قبيلة
أو منطقة أو مدينة ، يكون أهلها في المعارك
التالية من جنده ، ومن رعيته المخلصة ؛ بل إن

حكامها المهزومين يكونون محل الإعزاز والإكرام، يندمجون بسهولة في المجتمع الجديد الواسع.

لهذا كانت كل معركة تعني كسباً يضاف إلى خارطة المملكة الجديدة، وأخذت المناطق تتوالى في رسم اسمها على هذه الخارطة المباركة، حتى اكتملت الرقعة بهيئة مشعة.

ولم تكن الأمور سهلة أمامه، وهو يستعيد ملك آبائه، وكانت العسرة المالية ترفع رأسها بين آن وآخر، بعضها نتيجة أمور داخل جزيرة العرب، وبعضها دولياً، يؤثر على البسيطة بأجمعها، يحكم هذا، التناحر بين الدول الكبرى، أو القحط، أو الجذب.

ولم تخل بعض معاركه من هزيمة، كان يتقبلها بروح المؤمن بربه، وبأن النصر سوف يتلو الهزيمة، لأن النية حسنة، والهدف سام،

فكان يخرج من الهزيمة ، ويهيء نفسه لمعركة أخرى ، يمحوها الأثر النفسي للهزيمة الأولى ، وكانت عبقريته ، وتجربته ، ومعرفته بالناس ، تساعد على سلوك السبل الموصلة في هذا المجال .

كان - رحمه الله - يحاول ضم الجزء ، الذي لم ينضم ، بالتفاوض والحسنى ، ويبذل الجهد في هذا ؛ وكان يحاول مثل هذا مع من يحاول أن يعتدي ، وكان بذلك يُعْذِر لنفسه أمام الله - سبحانه وتعالى - ثم أمام الناس ، ويطمئن داخل نفسه أنه لم يعتد ، ولم يبيع ؛ فإذا لم تنفع الحسنى ، تذرع بالحزم ، وتوكل على الله ، وأقدم إقدام البطل .

ويكون ذلك مفاجأة مدهشة لعدوه ، الذي ظن أن المظهر السلمي السابق كان يدل على ضعف أو خور ، فيفاجأ بأن ظنه كان خاطئاً ،

وتكون المفاجأة - بإذن الله - من أسباب النصر الكاسح .

والملك عبدالعزيز - رحمه الله - خلافاً لأعدائه ، كان ينظر إلى الفرد في معسكره ، وفي معسكر غريمه - على أنه أحد أفراد رعيته في المستقبل ، فهو يحاول أن يبقي عليه ما أمكن ، ولا يأتي منه له ضرر إلا في أضيق الحدود التي يقتضيها الحزم ، وبناء المملكة ، الذي لا بد فيه من تضحيات ، يكون وقودها أولئك ، الذين لا يدركون كنه الأمور ، ولا ما أصبحت تقتضيه مصلحة المنطقة .

وكان أمر من معه من القادة والجند مسقط اهتمامه ، ومحل رعايته ، فهو لا يخوض بهم المعارك جزافاً ، أو استهتاراً ، بل يتوخى ألا يزعج بهم إلا إذا اضطر إلى ذلك ، لأنهم صفوة أهل المدن ، وهم عدته للمستقبل ، وليس لهم

عوض ، فهو يدرأ عنهم أكثر مما يدرأ عن نفسه ،
التي يرميها في المهالك ، رخيصة ، حتى أصبح
مضرب المثل في الشجاعة ، وقد أعطاه الله منها
بسطة ، وبسطة في جسمه وبنيته وعقله .

وكان قوياً على نفسه في التغلب على
الصعوبات ، وكان يحمل من معه على مثل ذلك ،
حتى أصبح له ولجنده سمعة تسبق معاركه ،
فتكون جيشاً مع جيشه ، تدخل الرعب على
عدوه ، وتزرع الخوف في قلبه ، فكانت سمعته
عوناً له ؛ وكان يساعده أيضاً ما كان الناس
يعانونه من حكامهم ، ومن إخافة البادية للطرق ،
ومضايقاتهم للمدن ، حتى أصبح السالك
بينها يكاد يكون مفقوداً أو مسلوباً ، فكان
الناس يتطلعون إلى حكمه ، ويقدرّون بهذا
جهوده ، ويساعدونه بقدر استطاعتهم سراً أو
جهرًا ، وكان في هذا عون له على تحقيق أهدافه ،

خاصة عندما توحدت المملكة، وبدأ الالتفات إلى البناء في الجوانب المختلفة .

وقد قدر الناس في المناطق المختلفة الجهود التي بذلها الملك عبدالعزيز في القضاء على الفوضى، وفي إطفاء الفتن، وبدؤا ينعمون بالأمن الذي كان مفقوداً، فأمنت السابلة، وبدأ الناس يتنقلون، لا يخشون إلا الله، ثم السباع الضواري في الصحراء، ولم يعد لضواري البشر وجود، فقد كان - رحمه الله - يأخذ على يد العابث، ويقطع دابر الشر، بحزم، وعزم، وتصميم، وقوة .

ثم التفت إلى الإصلاح في المناطق المختلفة، وما يقتضيه الربط بين المصالح المتعددة، بعد التوحيد؛ فكان لكل جانب من جوانب الحياة في هذه المملكة الجديدة، لمسة من الإصلاح، تدفع، أو تعدل، أو تطور؛ وكان يسير في

الأمر في أقصى ما تمكنه الأمور المالية المتوفرة،
وما أقلها في أول الأمر .

أدرك - رحمه الله - بثاقب بصره أن التعليم
مهم، وأنه الركيزة الأولى للإصلاح، وبالمتعلمين
يستطيع أن ينجز كثيراً مما هو في ذهنه من أمور
الإصلاح؛ وقد لمس هذا، من حاجته للمتعلمين،
عندما وضعت الحرب أوزارها، وبدأ يبحث
عمن يملأ الخانات في العمل الإداري، في الجوانب
المختلفة من بلاده؛ ورأى قلة المؤهلين، وكثرة
المناصب التي تحتاجهم؛ وهذا أكد له وجوب
البدء بالالتفات إلى التعليم؛ فنظم أمره، واختار
الكفائيين في هذا المجال، فوكل إليهم أمر تنظيم
التعليم، وتطوير ما هو قائم، وإنشاء ما يقتضيه
الأمر؛ ووضع النواة، ودرجت العجلة، وسرعان
ما انتشرت المدارس بأنواعها، وبدأت الحصيلة
تتبين، والجهود في هذا المجال تعطي ثمارها؛

فزاد من جهوده في هذا، فزاد التوسع داخل
البلاد بفتح المدارس، ونشرها في أنحاء المملكة،
وخارجها بالابتعاث في التخصصات المختلفة،
مما أوجد نواة للمدرسين، والموظفين في حقول
العمل المتعددة، ومن ذلك اليوم إلى اليوم
والعجلة في هذا المجال تدور بسرعة فائقة،
تدهش المتتبع، وتعجب الباحث.

وكان من حسن حظ التعليم أن وكل أمر
أول وزارة له بعد وفاة الملك عبدالعزيز إلى
سمو الأمير فهد بن عبدالعزيز (الملك فهد)،
فنهض به نهضة أوصلته إلى ما وصل إليه اليوم؛
وقد أرسى - حفظه الله - قواعد التعليم على
أسس قوية، تبينت قوة البناء مع الوقت،
وفتح باب التعليم الجامعي في داخل المملكة
بعد أن كان الطلاب يبتعثون إلى الخارج لإكمال
دراستهم الجامعية، فعزم على فتح جامعة

تضم عدداً من الكليات ، وسرعان ما نفذ ما عزم عليه ، حتى وصل اليوم عدد الجامعات سبعاً ، مع كليات للبنين والبنات خارجها تؤتي ثمارها في مجالات متخصصة مختلفة .

وقد قارب عدد طلاب الجامعات اليوم أن يتعدى مئة وثلاثين ألف طالب ، أما عدد الطلاب والطالبات في التعليم العام فقارب ثلاثة ملايين ونصف ، ولعل المدارس اليوم قد تعدت خمسة عشر ألف مدرسة للبنين والبنات .

هذا عن التعليم ، وهو جانب واحد ، ويمكن أن يقاس عليه النهضة في الجوانب الأخرى المتعددة ، مثل الطرق ، والمطارات ، والمستشفيات ، وتوسع المدن ، والموانئ ، والازدهار الاقتصادي ، والتوسع العمراني بأنواعه من مستشفيات خاصة ، وفنادق ، وعمائر ، ومجمعات تجارية ، ومجمعات سكنية ، مما يُري جوانب النهضة .

اليوم الوطني وقفة متأنية ، لتذكرنا بما كان
من كفاح وجهاد ، وبما وصلنا إليه اليوم من
نعم جلى ، نحمد الله عليها ، ونرجو لها الدوام .

الملك عبدالعزيز فريد بين الرجال^(١)

كُتِبَ عن الملك عبدالعزيز كثير من المعلومات ، مقالات وكتب ، وبقي أكثر مما كتب ، مما هو في صدور الناس ، أو في الكتب ، مما يحتاج إلى دراسة وتحليل ؛ لأن الملك عبدالعزيز فريد بين الرجال ؛ وعبقريته مضيئة في جميع الجوانب .

وضع الأسس للمملكة في كل المجالات ، في المجال الحربي ، وفي المجال الاقتصادي ، وفي المجال الاجتماعي ، وفي المجال الديني ، وفي المجال العلمي ، وفي غير هذا من المجالات ؛ ووضعها على صورة البناء الذي في ذهنه ، وما يريد أن تكون عليه المملكة .

والإتقان الذي جاء في ثمرة عمله هذا يدل على عبقرية منقطعة النظير ، لأنه فرد واحد ،

(١) نشرت في المجلة العربية في جمادى الأولى لعام ١٤١٧ هـ .

كان يخطط ، وكان يختار ، اختياراً متقناً ، الرجال الذين ينفذون ؛ وكان يضع كل واحد في المكان اللائق به ، فيأتي بما يستطيعه ، وعين الملك عبدالعزيز ترقبه بالفحص والتوجيه والتسديد ، فكان كل واحد من رجاله تلميذاً له ، ويصبح مع الوقت صورة من الملك عبدالعزيز في الحرص ، والأمانة ، ومراقبة الله ، فاعتلى البناء سريعاً ، وشمخت أعمدته .

لم يكن بناء المملكة سهلاً ، فقد كانت العوامل الداخلية والخارجية توقف أمامه من المعوقات ما لا يستطيع الوقوف أمامه إلا رجل ذو عزم قوي ، وإرادة حديدية ؛ والمقاومة العنيفة التي قابلته ، كانت شحذاً لهيمته ، وصقلاً لرجاله ؛ وجاءته الحرب العالمية الأولى بعوز حربي واقتصادي ، ركّز له صدره الواسع ، وكَتَفَه القوي ، حتى مرت الأزمة بسلام ، وكانت له لا عليه .

لم يكن شيء من المعوقات التي ترفع رأسها
في جانب، ترده عن إتمام برنامجها الثابت في
مجال آخر؛ فدرسه اليوم في أوقات مختلفة بقي
محافظاً عليه، يتلقاه في وقته، إن كان في خيمة،
أو على ظهر البعير، ليلاً والناقة تدرعم، أو نهراً
والخيل تصهل (وترهم)، في المجلس في المدينة،
أو في المسجد في القرية، أو في قهوة الشيخ فلان،
أو في خيمة الشيخ فلان، حتى أصبح واسع
الثقافة ديناً وتاريخاً وأدباً، وهياً الله له حافظاً
مدهشاً وهو العجيري، حفظ أمهات الكتب
غيباً في جميع فنون العلم، فما على العجيري،
وهم سارون في الليل، إلا أن يهمز ناقته،
ويبارى الملك عبدالعزيز، ويقص عليه وقعة
القادسية، أو معركة حنين، أو يسمعه معلقة
لبيد، أو قصيدة فتح عمورية؛ فيعي الملك
التاريخ، ويحفظ الشعر، ويتفهم الحديث،

ويتفقه في الأحكام، ويعرف التفسير.

بعد سنوات، وقد انتهت الحروب، ولانت يد الملك عبدالعزيز بعد أن أغمد السيف، وامتشق القلم، صافحه أحد أفراد رعيته، وكان فيه جرأة، ودالة عليه، قال له :

أرى يدك - يا طويل العمر - لانت بعد الخشونة.

فما كاد الرجل يتم قوله هذا حتى رد عليه الملك ببديهة مواتية، وسرعة خاطفة، مستمداً من ذاكرته ما خزنت، ومختاراً بعبقريته ما هو مناسب منها للرد، بقوله :

إِنَّ الْأَفَاعِيَّ وَإِنْ لَأَنْتَ مَلَامِسُهَا
عِنْدَ الثَّقَلْبِ فِي أَنْيَابِهَا الْعَطْبُ

هذه صورة من صور الثقافة ؛ والحكمة على لسانه دائماً، وتبين للمتفهم سياسة الملك

التي كان يدير بها ملكه ؛ فمن درس أعماله
وجد الحزم صفته ، وإنجاز الأعمال ديدنه ،
فلا يتردد في اتخاذ الإجراء حيال ما يتبين له من
أمر ، ولا يؤخر عمل اليوم إلى غد ، يجلس لعمله
عدة مرات في النهار ، وفي الليل ؛ في المدينة ، أو
في البر ، صيفاً أو شتاءً ، الحقيبة «الشنطة» معه
مثل ظله ؛ والقول الآتي يحدد الصورة التي في
ذهنه عن إنجاز العمل ؛ كان يردده كل يوم :

الحزم أبا العزم أبا الظفرات .
الترك أبا الفك أبا الحسرات .

وهذا نبراس وضعه أمامه ، يحدد له علامات
طريقه .

وله قول آخر ، يدل على اهتمام بمرامي
الفكر ورياضاته :

الدنيا دواهي والدواهي .

ما نصبر بلاها والبلاهي .
رحمه الله فقد كان فلتة من الفلتات ، وعبقرية
من العبقريات ، ظهر فلمع وسطع ، وبني
فأحسن البناء .

لِسْرَاةِ اللَّيْلِ هَتَفَ الصَّبَاحُ^(١)

الملك عبدالعزيز رمز إضاءة، وفنار وطنية،
لا تخطئه عين الناظر في التاريخ، ولا تتجشمه
نظرة المخلص، الموالي لهذا التراب الذي نقف
عليه، ولهذا تنصت الأذن عندما يذكره ذاكر،
وتبتهج النفس عندما يتحدث عنه متحدث،
تقديرًا للدور الذي قام به في توحيد البلاد،
وللأمن، الذي سعى، بتوفيق الله، إلى تثبيتته،
وللرخاء الذي وضع أسسه، وللإصلاح الذي
بذر بذرته، وغرس شجرته، حتى آتت أكلها.

ويزيد الإصغاء، وتزيد البهجة، عندما يأتي
الحديث من رجل عاصر عهد الملك عبدالعزيز،
وعمل له، ولمس عن قرب صفاء نيته، وتغلب
الخلق الحميد على أعماله، فصبر متناه، وعطف

(١) نشرت في صحيفة الجزيرة، العدد (٩١٤٠) في يوم الثلاثاء: ٦/٦/١٤١٨هـ،
الموافق: ١٠/٧/١٩٩٧م.

بلغ الحدود، وحزم في مواقع الحزم، ولين حينما يقتضي الأمر ذلك، فدخل قلوب الناس لما رأوه من أعماله وأهدافه.

ويزيد الإصغاء، وتتنامى البهجة، عندما يكون المتحدث، عن الأفعال الجليلة، رجل جرب الحياة، ورأى تقلبات الزمن، ورأى بعض ذيول زمن التخلف والفوضى، وعهود الظلام، وسمع عن قرب ممن عانوا منها، واكتووا بنارها، فصار ثقة في المقارنة، وثقة فيما يصل إليه من نتائج، وثقة فيما يتمناه لهذا الجيل، في ضوء ما سمع، وما لمس من حالة ماضية مظلمة، وحالة لاحقة منيرة، نتمتع اليوم بخيرها، ونستقي من روافد نعمها، وننعم بوافر ظلها.

ويزيد الإصغاء، وتعمق البهجة، عندما يكون المتحدث صاحب أسلوب «إبريسي»

سلس جذاب، تقرأ له، وكأنك تسمع حديث صاحبه، إن كنت، مثلي، صديقاً قديماً له، فلا تكلف، ولا تقعر، ولكنك سوف تلهث خلفه، وأنت تحاول تخيل الصور البديعة، وأنت تقرأ جمل الاستعارة، وهي زهور في روض، متنوعة خلابة، تعود عليها في كتبه السابقة، فحمدتها، وحمدناها معه، وأبقى عليها بصيغتها الأدبية، وكأنه يقول للتاريخ الجاف: يجب أن تكون مبهجاً، مثل العصر الذي أتحدث عنه، وأتمتع بالرواية فيه عن بطل، هو محل الإعجاب، وإلادهاش، بطل جمع عبقریات، لا عبقرية واحدة، لم يستطع مؤرخ واحد أن يفهم حقه في جانب واحد من جوانب عبقريته، رجل طلسم ما لم تعرف مفتاح صندوق غموضه، والمفتاح سهل، متيسر، لمن فتح الله بصيرته، يتلخص وصفه: في صفاء نيته، ونقاء ذهنه، وقوة

تحمله، واتساع نظره، ومقدرته على الصبر،
ونفاذ بصيرته، وإبداعه في الاستفادة من
تجاربه وتجارب الآخرين، وقوة إيمانه بالله،
وأن من كان الله معه فلا يخاف من الإخفاق،
بل يتأكد من النجاح، والله يضاعف لمن يشاء.

ويزيد الإصغاء، ويشد الانتباه، وتتضاعف
البهجة عندما يوفق الله الكاتب لبدء الخط
الموصل إلى الهدف، فصاحب المعالي الشيخ
عبدالعزیز العبدالمحسن التوحيدي، في كتابه:
«لسرة الليل هتف الصباح»: «الملك عبدالعزيز،
دراسة وثائقية»، توفرت له، وفيه، كل العناصر
التي ذكرت أنها تقف خلف نجاح الكاتب،
خاصة عندما يتصدى لعمل ضخمة الأهمية مثل
الحديث عن الملك عبدالعزيز، وخاصة،
أيضاً، عندما يكون تاريخ الملك عبدالعزيز،
قد تصدى له أناس كثيرون، فما عسى أن

يقول فيه المتأخر ، بعد ما جهد المتقدم .

هنا مصدر التوفيق الذي قلت أن الله -
سبحانه وتعالى - حبا به معالي الأخ عبدالعزيز .

لقد وجد بثاقب فكره ، وصادق نظريته أن
خير من ينطق عن الملك عبدالعزيز - رحمه الله -
الملك عبدالعزيز نفسه ، أو مخاطبه ، عن طريق
موثق ، مأمون ، وهو الوثائق ، ولا أكثر توثيقاً
من أن تذيل الوثيقة بختمه ، أو ختم من خاطبه ؛
لقد نطقت الوثائق بلسان صدق ، ولقد أحسن
معالي الأخ عبدالعزيز العرض ؛ والإحسان
هذا جاء من عدة نواح :

أولها: ترتيب الوثائق ، حسب الأزمان التي
اختارها وتمائل المواضيع داخلها ؛ فأعطى
صورة متكاملة ، واضحة ، معبرة ، وكأنه يريد
بهذا للقارئ أن ينتقل بجسمه وحسه وزمنه إلى
ذلك الزمن ، وأود أنؤكد لمعاليه أنه نجح في

نقلي أنا على الأقل إلى ذلك الزمن بظروفه
وأحداثه .

ثانيها: لقد أعطى الوثائق حقها، فقد
احترمها، وقدرها، فسجل صورها، وطبع
صيغتها، وأتاح للمقارن أن يقارن، وللدارس
أن يدرس، وللباحث أن يبحث، ولمن طلب
المعرفة أن يجدها فيها .

في المَحِّ فائدة كبرى، وفي الديباجة مجال
للفكر، وفي الختام مثله، كل هذا صورة لذاك
الزمن، وأهله، وطريقة تخاطبهم، وأسلوبهم
في الكتابة، ودرجة الإتيان، في الخط، أو نقصها
عن ذلك .

ثالثها: لم يحاول أن يحتكر طرق التفكير في
النص، بل أحاطه بكل أسباب الحرية، ترك
التعليق في بعض الأمور لبصيرة القارئ، لم
يتدخل في توجيه التفكير، قال له هذه بضاعتي،

خذ ما تريد، كما تريد، ومتى تريد، فهي
مزجاة.

رابعها: يتدخل، فقط، عندما يزيل غامضاً،
أو يلحق إضافة لا بد منها لبيان القصد، في ضوء
ظروف ذلك الزمن، هو لا يزيد عن إلقاء نور
مشع، يزيد المعرفة، ويزيل اللبس، ويرفع
الوهم، ويتحدث بإسهاب، ويتكلم بطلاقة
عندما يحتاج النص إلى ذلك، ليوفي الهدف من
الكتاب.

خامسها: مظهر العفاف واضح في كتابه،
فهو لم يحكم على الأمور بما يחדش أهلها، أبان
الظرف، وأبان الحدث، ورسم الإطار، دون
انفعال، أو تقليل لقوة الظروف التي حكمت
التصرفات في ذلك الزمن، وهذه مقدرة مرحب
بها، لأنها تدل على عمق في النظرة، وبعد في
التفكير؛ وكأنه يستقي مثل هذا التصرف من

روح بطله في حسن التعامل مع من استوجب الأمر أن يتعامل معهم . وفي هذا لم يحمل النص ما لا يتحمل ، ولم ينقص منه ما أريد أن ينطق به .

سادسها: لم يأت بالنصوص معلقة في الهواء ، تلعب بها الريح يميناً وشمالاً ، بل جاء لها بما يسندها ، مهد لها في أول الأمر بنبذة مختصرة ، وفّت الموضوع حقه ، ولم تأت بتفاصيل لا داعي لها ، وجاء في آخر الكتاب بما مثل «ختم التصديق» من أناس خارج هذه الجزيرة ، لهم وزنهم علماً ، ومقاماً ، وفهماً وإدراكاً ، وكأنه يقول إن إعجابي ببطل ليس مقصوراً علي وعلى أهل وطني ، وإنما هناك من يعرف الدر فوصفه ، ويقدر الجوهر فأشاد به .

وبعد :

لا يشفي الحديث عن هذا الكتاب ، فكل نص فيه له حق في التقويم والبحث والدراسة ، ولا يملأ

النفس إلا قراءته ، والتمعن فيما جاء فيه .

تبهت الآراء ، ويقدم الحكم ، ويبقى النص ،
أي نص ، مشعاً براقاً ، بما له وما عليه ؛ ولهذا
كان معالي الأخ عبدالعزيز موفقاً في إختيار
النص مرتكزاً لكتابه ، وكأنه يقول لنا جميعاً ،
ولكل من عنده وثائق : إنكم تعضلونها إذا
حجبتموها عن النور ، فلا أقل من كلمة -
جزاه الله خيراً ، يقولها قارئ قرأ نصاً ، عن
من خدم هذه البلاد بدمه أو ماله ، أو جاهه .

هذه لمحة قصيرة عن شعور شعرت به بعد
أن قرأت الكتاب ، وتمعنت فيه ، وفي محتواه .
وأرجو أن ينفع الله به ، وأن يكون لدى المؤلف
المزيد ، وكما نقول اليوم جزاه الله خيراً على ما
قدم . . نقول ليجزيه الله على ما سيقدم .

عبدالعزیز الخویطر

١٤١٨/٥/٣٠ هـ

سؤال وجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلمة كتبت لصحيفة الرياض جواباً
على أسئلة قدمها بمناسبة قرب اليوم الوطني ،
السيد فهد الزومان ، من جريدة الرياض ،
والأسئلة ثلاثة :

١ - أثر التجربة الشورية ، والمجالس المفتوحة
في زيادة الترابط بين القيادة والمواطن ،
وتطوير الأداء الإداري ؟

٢ - ماذا تمثل لكم ذكرى اليوم الوطني ؟

٣ - يمثل العام القادم : ١٤١٩ هـ ، مناسبة
هامة لنا كسعوديين ، وهي الذكرى المئوية
لفتح الرياض ، ما هي رؤيتكم لتلك
المناسبة ؟
١٩٩٧ / ٨ / ٢٧ م

وكانت الإجابة كمايلي :^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - الشورى ليست جديدة علينا نحن المسلمين ، فهي من الأسس المعتمدة في ديننا ، وجاءت النصوص الشرعية تنص عليها ، وتبين فوائدها ، وأنه لا بديل لها خير منها ، لهذا كانت مما فكر فيه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وهو الذي تعود على الشورى منذ أن بدأ خطوه الحربى والسياسى ، وتوج ذلك بإنشاء أول مجلس شورى فى مملكته ، وبقي هذا المجلس يؤدي هدفه ، والغرض الذى أوجد من أجله ، وكان حجمه وعمله يتناسب مع حجم الأمور التى تُعرض عليه ، وهذه فى حدود ما كانت عليه المملكة من عدد سكان ، ومن نوع المجتمعات

(١) نشرت فى جريدة الرياض ، ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٨هـ ، الموافق ١٩٩٧/٩/٢٣ م .

التي تتكون منها المملكة العربية السعودية،
والخطو الحضاري الذي كانت تخطوه، والتنمية
التي كانت تسعى لها، والمقدرة التي كانت
تأتي بها، ومنها، في هذا المجال.

فلما توسعت المملكة، ودخلت طوراً حضارياً،
اقتضاه الوقت، والطموح، والإمكانات،
استوجب الأمر إلى التفاتة لبعض المؤسسات
الوطنية، وكانت إحدى هذه المؤسسات مجلس
الشورى، وما يمكن أن يقوم به في هذه المرحلة
المتقدمة، فصيغ المجلس صياغة جديدة، تلبى
متطلبات الدولة، وتساهم في حمل عبء التطور،
والدفع إلى الإمام.

وقد واكب هذا المجلس مجالس مصغرة في
الإمارات المختلفة في المملكة العربية السعودية،
تقوم بدور رئيس في المشاركة في المساهمة في
تلمس الطرق السليمة الموصلة للتنمية المتطلّعة

إليها في المرحلة القادمة . وكان لتنظيم مجالس المناطق دور فعال ، يعضد المؤسسات المختلفة التي انبثت حسب حقول التنمية ومتطلباتها .

والترابط بين القيادة والمواطن قائم منذ تأسست المملكة ، ولكن إتقان العمل بين القيادة والمواطن عن طريق التفكير فيما ينفع ، وإنشاء ما يفيد ، يزيد من هذه اللحمة ، وينميها ، ليأتي منها البريق الخير الذي يرجى لأمة خيرة ، تسعى في ما يصلح شأنها داخلاً وخارجاً .

وتطوير الإدارة لتؤدي دورها في مسيرة الوطن هاجس المسؤولين في المملكة ؛ لأن العمل الطموح يتطلبه ، ولا يعطي مجالاً للتراخي أو التهاون ؛ ونظرة إلى ما تم من تطوير في الوسائل التي تضيف إلى حسن الإدارة ، وإتقانها ، تبين الجهود الناجحة التي أقدمت عليها الدولة ، وآت ثمارها ، سواء كانت هذه المنشآت كليات

أو معاهد أو مراكز تدريب، أحاطت بالإدارة من عدة جهات حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من الاستجابة للحاجة، ومقابلة الطموح.

٢- اليوم الوطني إضاءة تاريخية تبين معلماً من المعالم المشعة في تاريخ بلادنا، يمثل اليوم الوطني جهداً فائقاً، كلل بنجاح باهر؛ وطموحاً بعيداً، أمكن الوصول إليه بالعزم والمثابرة، والتخطيط الحسن، والنية الصادقة، والتصميم المثابر؛ وهو رمز كفاح، وعلامة فلاح، ومحط فخر، ومنحنى في التاريخ، أوصل إلى نهج مستقيم، وفتح باباً واسعاً إلى روض أغن؛ واليوم الوطني يومٌ حمل فيه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - راية الكفاح، وسل سيف الجهاد، يقود فئة مخلصه، تتلمّض لاسترداد حق مأخوذ؛ كانت هذه الفئة بعد يوم فتح الرياض، والاستيلاء على المصمك، صغيرة في عددها، قوية في عزمها،

تقتدي بزعيمها وقائدها، وكانت بذرة صالحة
ما فتئت أن اجتذبت فئات، وتكونت معها
جيوش، وتوحدت أجزاء، وتعانقت مناطق،
واقترب بها بعيد، وقوي بها ضعيف.

الملك عبدالعزيز، هذا العملاق بجسمه،
العملاق بتفكيره، العملاق بتخطيطه، هو
مثّلها الأعلى في الحماس، وفي الاندفاع، وهو
قدوتها في حسن النية، والسعي للصالح العام،
تقدّمها في المعارك وقادها في الحروب، ثم سار
أمامها في الإصلاح، يوجه، ويرشد، ويشرف
ويتابع؛ ليله للصالح العام لشعبه ومملكته،
ونهاره للبناء والتشييد، يقظ لما يجري داخلاً
وخارجاً، متنبه لمجرى الأمور في حقول الحياة
المختلفة.

أدهش الملك عبدالعزيز كثيراً من المراقبين
في اقتباس الوسائل الحديثة التي ساعدت بلاده

على النمو والتطور، وجلب ما أصبح يتطور
ويتجدد من الفنون التي كانت تتسابق في اقتنائها
دول خطت خطوات حضارية متقدمة. لقد
أعطاه الله حسب نيته كنزاً من كنوز الأرض
غير المتوقعة، فساعدته هذا على تنفيذ ما كان
يدور في ذهنه.

فاليوم الوطني على اسمه رمز لإشعاع من
إشعاعات الوطنية، يحمل في طياته معاني لا
تُحصر؛ فيه يُتذكر ما كانت عليه بلادنا من فرقة،
وانعدام أمن، وتبعثر، وما صارت عليه - بحمد
الله، من اجتماع، وأمن، والتحام؛ هذا يوم
يجعلنا لا ننسى ما مر، لنستعد إلى ما هو آت
من واجب علينا في وضع لبنات قوية تزيد في
هذا الصرح الشامخ وتقويه.

٣- والعام القادم عام ١٤١٩ هـ يجتمع فيه
من الذكريات ما كنا نتذكره مفرقاً على السنين؛

وله استعداد يليق به سوف يتبلور في هذا العام، نتيجة نشاط متعدد الجوانب، تقوم، بقسط وافر منه، لجنة الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة تحت رئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض؛ ويتوقع أن تكون حصيلة الجهود المبذولة وافية بالغرض، موصلة للهدف، ومن عرف أفراد اللجنة، بكفائاتهم المتعددة، أمل خيراً كثيراً ورجاً نفعاً عميماً، وسمو الأمير سلمان واكب أعماله النجاح لما يوليه إياها من عناية شخصية، ومتابعة لصيقة، وما عرف عنه من نشاط يليق بالأعمال الجليلة التي يتولى أمر التخطيط لها والتنفيذ، بتوجيه خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده الأمين - حفظهما الله - وهما الساهران على مصلحة هذا البلد وشعبه؛ مما أوصله - والحمد لله - إلى ما نفاخر به من بدأ

مع بدئنا، وهذا يدل على العنصر الزاكي،
واللحمة القوية بين القائد وأبناء شعبه.

عبدالعزیز الخویطر
٢٨/٤/١٤١٨هـ

مراسلات الملك عبدالعزيز

تاريخ مراسلات الملك

تاريخ المملكة يمكن أن يكتب وافياً باستقائه من مراسلات الملك عبدالعزيز - رحمه الله - أو من المراسلات التي تأتي إليه ، مرتكزة على اتصال منه أو مبادرة من أصحابها ؛ وهذه المراسلات من أصدق ما يمكن أن يعتمد عليه ، لصحة ما فيها ، وتعبيره عن الواقع حينئذٍ ، وهي تعكس بدقة روح الوقت الذي كتبت فيه ، سواء في الحقائق التي ترصدها ، أو الحالة النفسية التي كان عليها كاتبها وممليها ، يزيد من صدقها أنها كانت تكتب باللغة الدارجة بأسلوب صاحب الشأن ، الذي كان يزن الموقف بميزان ذهب ، لما يريد أن يجنيه من تأثير فحواها ، سواء ما كان يرمي إليه لجلب نفع ، أو دفع ضرر .

المتبع لهذه الخطابات يكتشف الأهداف

البعيدة للملك عبدالعزيز في بناء المملكة،
والخطوات التي وضعها، ووسائل التنفيذ،
التي اتخذها، للوصول إلى الهدف؛ وفي ذهنه
إطار عام لا يخرج عنه، وخطوات فردية يملئها
الوقت، وتقتضيها الحاجة، ترتفع فيها النعمة
عندما يقتضي الأمر ذلك، وتنخفض عندما
تستدعي الحاجة ذلك، فهذه من الخطوط
المنتظمة عنده، وإن كان لكل حالة علاجها
الدقيق، المماثل لدقة الاختلاف بين أمر وأمر؛
وقد يخلط في علاجه لأمر من الأمور بين أدوية
مختلفة، تراكب، وتتعارض، ويقطع بعضها
طريق بعض، ولكن كل ذلك في الطريق إلى
الوصول إلى الهدف؛ في بعضها يأتي هذا الاختباط
لخلط أوراق الخصم، فيضل عن الحقيقة، ويتوه
في صحراء التفاعل، فيهيأ ذهنه لقبول ما يسعى
الملك عبدالعزيز لأقراره فيه.

كان واضحاً أن الملك عبدالعزيز يعطي أهمية قصوى لمعرفة ما يجري أولاً بأول في بلاده، وللإطلاع على كل صغيرة وكبيرة؛ ويضطر المسؤولون النّاؤون أن يقابلوا نشاطه بنشاط، لأنه لا عذر لهم في أن يتأخروا عن موافاته بما جعله لهم واجباً، لا يجوز التهاون فيه؛ ونشاطه في المساءلة وفي المجاوبة منقطع النظير، وكان يكاد يكتب لوالده الإمام عبدالرحمن إذا غاب عنه يوماً، حتى إذا لم يجدّ جديد، وحينئذ يقول إنه لم يجدّ جديد، ولكنه حريص على متابعة صحة والده عبدالرحمن، وطمأنته على صحته، وأن الأمور تجري في مجاريها؛ ولعل حامل الرسالة الأولى، وحامل الرسالة التالية، لا يكون بينهما إلا ساعات؛ فيكون الخبر يتلو الخبر. وكان كل شيء طوع يده، وعلى هذا فلا يجد ما يتعذر به عن المتابعة، لأنه لا يعرف الكسل، ولا التواني،

ولا تأخير عمل اليوم إلى غد .

هذا فيما يخص المثابرة المتصلة تجاه الأخبار من شرق البلاد وغربها ، شمالها وجنوبها ، سواء ما كان منها متابعة لأمر قد بدأ منذ أمد ، أو كان أمراً مستجداً ؛ أما في الفحوى فكانت العناية مماثلة ، فأقل الأمور يُعطى حقه من الاهتمام والتفصيل ، لأن مستعر النار من مستصغر الشرر ؛ وحرصه على ذلك يجعل ما يجد في ملحق يُتبعه في آخر لحظة مع الخطاب المعدّ ، والملحق له هذه الصفة ، وله صفة أخرى أهم ، وهي أنه يوضع فيه بعض الأخبار المهمة ، أو السرية ، حتى لا يطلع عليها إلا من وجهت له ، ويقرأ في المجلس العام الخطاب الأصل ، الذي قد لا يكون فيه إلا السلام ، والسؤال عن الصحة والأحوال ، وبعض الأخبار الجانبية ؛ ولا يشار إلى الملحق ؛ والملحق عادة ، إذا كان

فيه أخبار سرية لا يوضع مع الخطاب الأصل في ظرف واحد، خاصة أيام الخوف، أو عندما كانت هناك مناطق لم يسيطر عليها الملك عبدالعزيز، وهي ما سيمر عليه حامل الخطاب؛ وهي أمور تحرّز أوجبتها حياة الناس حينئذ وعاداتهم، وطريقة تعاملهم، نتيجة التجربة والاعتیاد.

كانت خطابات الملك عبدالعزيز لوالده الإمام عبدالرحمن، عند محاصرة المدن، مثل حائل وجدة، متصلة، الواحد منها يلحق الآخر، حتى كانت الصورة أمام الإمام عبدالرحمن واضحة، كأنه حاضر الحصار، والخطابات، مع ما تحمله من إفادة عن الحصار، تكشف العلاقة الحميمة بين الأب وابنه، وتُري مدى الاحترام الذي يبديه الابن لأبيه، والتقدير الذي يحمله له.

وهذا أحد النماذج التي دأب الكتاب عند

الملك عبدالعزيز على وضع ديباجة لها قبل أن
يبدأ الملك عبدالعزيز إملاء الكتاب، وكأنها
ديباجة مسلم بها عندهم:

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الأجل الأبعد الأفخم بهي الشيم
حضرة سيدي المكرم الوالد الإمام عبدالرحمن
ابن فيصل المحترم، سلمه الله تعالى، وأبقاه،
آمين.

بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته، على الدوام، مع السؤال عن
شريف خاطركم العاطر، لازلتكم بكمال
الصحة والسرور، وعن أحوال مملوكم
الحمد لله جميلة، نرجو إن الله يديم عفوه
وعافيته على الجميع.

الخطوط المكرمة وصلت، تلوناه

مسرورين بدوام صحتكم، وما عرف
حضرتكم كان لدى مملوككم معلوم،
أخبارنا صحة، ولا جدّ ما يوجب الإفادة
سوى الخير والعافية.

ومن طرف حنا ماشين من الطعميه،
إن شاء الله، نهار السبت الموافق ٢٢ الجاري،
متوجهين لخدمتكم، الله تعالى يبلغ الجميع
الصحة والسرور.

هذا ما لزم تعريفه؛ والرجاء إبلاغ
السلام العيال ومنا يسلمون، والله يحفظكم
محروسين...

الختم:

عبدالعزیز بن عبدالرحمن الفيصل

٢٠ رمضان ١٣٤٢ هـ

هذا هو الخطاب وليس فيه من غير الديباجة
إلا تاريخ تحرك الملك عبدالعزیز من المكان الذي

هو فيه وقد حدد أنه بعد يومين من كتابة الخطاب سوف يغادر إلى الرياض حيث يقيم الإمام الوالد عبدالرحمن . ولكن مع هذا ملحق ، يحمل فعلاً صفة من صفات الملاحق ، فيه تفصيل عن بعض الأمور التي لا تهم الناس ، ولكنها تهم الإمام عبدالرحمن ، ولها صفتها الخاصة ؛ وهي تلمس مفاوضات الحدود ، التي عقدت في الكويت ، والإنجليز طرف فيها ، وتركزت على بحث الحدود بين المملكة وشرق الأردن ، وهذا نص الملحق ، وهو يعبر عن مراميه ، ونظرة الملك عبدالعزيز إلى هذه المفاوضات ، وما قد تصل إليه ، وما قد تقصر عنه :

(٢) بسم الله الرحمن الرحيم

لاحق خير وسرور إن شاء الله تعالى . .
ما عرف حضرتكم كان لدى مملوككم

معلوم، مخصوصا صحة حضرتكم، وصحة
العيال، الحمد لله رب العالمين، وهو تعالى
المسؤول أن يديم لنا بقاكم، ويلبسكم لباس
الصحة والعافية؛ أما صحة مملوككم فله
الحمد تسركم؛ والأخبار ما جدّ عندنا ما
نفيد حضرتكم به، فقط وصلنا طروش من
الكويت، ما زودوا بأخبار، فقط موجب
جايين أوراق مقالة الأرض المحايدة
أمضاها ابن صباح، ومروّ حينها لأجل
نمضيها، ومن قبل المندوبين ما صار بينهم
ومندوبين الأردن شيء، وقد سافروا مندوبين
الأردن راجعين، وأما مندوبين العراق فلا
وصلوا؛ وموجب تعريف مندوبينا أنهم
ينتظرون أسبوع، إن وصلوا مندوبين العراق
وإلا فالمجلس ينفض، ويرجعون مندوبينا،
نسأل الله يقدر ما به الخير.

من قبل الجرايد فلا جانا من توجهنا
من حضرتكم شيء خلاف الجرائد الذي
جت عن طريقكم، ووافق وصولها اليوم،
وحنا على جناح سفر، ولا بعد تمليناها،
إن شاء الله، إذا وصلنا إن كان (فيها)
زوايد نعرف حضرتكم بها.

ومن قبل حنا، إن شاء الله، اليوم هذا
مثورين من بريده نهار الخميس، ليلة الجمعة
أمشي أنا إلى عنيزه، وخويانا بالطعمية،
نستقيم في عنيزه يوم الجمعة، والسبت،
إن شاء الله، سارحين حنا وخويانا من
الطعمية، والظاهر، إن شاء الله، إننا نتشرف
بخدمتكم حراوي يوم الاربعاء القادم.
نسأل الله - تعالى - يورينا إياكم، والجميع،
بخير وسرور، ويديم لنا بقاكم محروسين».

المفاوضات على الحدود والإنجليز طرف مهم

فيها، شاقة، ومرت بصعوبات بيّن الخطاب بعضها، وأهمها عدم وصول بعض المندوبين المفاوضين عن إحدى الجهات المشاركة، مما جعل مندوبي جهة أخرى يعودون لبلادهم، ولكن مندوبي المملكة، ووراءهم حاكم حكيم، سوف يبقون أسبوعاً، مهلة، تجعلهم، فيما بعد في عذر، إذا عادوا، وبهذا يكون فشل المفاوضات من غير المملكة، ولم تكن سبباً فيه؛ ومثل هذا الجانب من ممارسة المسؤولية يتبين منه الأعباء التي كان على قائد المملكة الفتية أن يعانيتها، ويتصدى لصعوباتها، ويتغلب على ما تأتي به الأيام من معوقات.

ويبرز هذا الملحق جانباً لا يعرف قدره إلا من عرف الحالة الثقافية والاجتماعية للمملكة في ذلك الوقت؛ فالجرائد والمجلات الخارجية لم تكن من الأمور اللازمة عند الناس، بل لعل

بعضها لو رأي في أماكن عامة كان سبباً لعقاب ،
أو على الأقل لاحتقار ، وازدراء ؛ فلم يكن
مقبولاً في تلك الأيام إلا الكتب الدينية ، التي
نفعها ظاهر ، ولا غنى عنها ؛ أما الصحف
والمجلات ففيها ما قد يجرح العقيدة ، أو ما قد
يؤذي الخلق ، أو ما قد يسيء إلى المروءة ، ويخالف
العادات والتقاليد ؛ ومثل هذه الأمور ليست
الدولة وحدها التي تقف دونها ، بل المجتمع
الذي قد لا يتساهل فيها ، مما قد يكون رد فعله
في هذا الأمر عنيفاً .

الملك عبدالعزيز كان يحرص على الصحف
والمجلات مثل «المنار» وغيرها ، وكان يوافق
بها من جهات مختلفة ، وأفراد عديدين ، مثل
إبراهيم بن معمر ، المقيم في مصر في هذه الفترة ،
وكانت ثقافته ، مع خبرة فوزان السابق بالمجتمع
المصري ، وصلته ببعض الأشخاص مثل حمد

الباسل وغيره، لطول إقامته هناك، تعطيه مجالاً للرد على ما كانت تنشره الصحف من تهمة توجهها للمملكة الفتية، وتصحيح الصور المشوهة، التي كانت ترسمها للحكم السعودي.

لقد كان الإعلام السعودي مبدعاً في تلك الفترة رغم ضعف الإمكانيات مادية وبشرية، ورغم صعوبة الاتصال وبطء سيره، مع قوة الأعداء في وسائلهم وإمكاناتهم، وسيطرتهم على الرأي العام في مصر، سيطرة مضللة تامة، حتى إن حركة ابن رفاة، على صغر حجم جيشها الفوضوي، الذي لم يزد عن خمس مئة شخص، أبيدوا في أول التحام، أظهره الإعلام منتصراً، وأنه يزحف مكتسحاً ما أمامه.

كانت الصحف والمجلات عندما تصل يتداولها بالقراءة حسب ما دلت عليه المكاتبات: الإمام عبدالرحمن والملك عبدالعزيز ثم تؤول

في النهاية إلى الأمير عبدالله بن جلوي ؛ فإذا وصلت إلى الإمام في الرياض أرسلها إلى الملك عبدالعزيز بعد قراءتها ، والتعليق على ما قد يحتاج إلى تعليق ، ويفعل الملك عبدالعزيز هذا الفعل نفسه إذا كان هو المسلم لها أولاً ، ولهذا ظهر الاهتمام بها في الملحق الذي أرسله لوالده ، وبين أنه لم يرد إليه مبدئاً جرائد ، وأنه لم يجدّ حيالها شيء ، وأن آخر ما رآه منها هو ما بعثه إليه الإمام عبدالرحمن .

وإذا كان الملك عبدالعزيز حريصاً على البر بوالده ، وجعله دائماً في الصورة ، فقد علم رجاله أن يبروا به كذلك ، وأن يوافوه بالأخبار أولاً فأولاً ، كما يوافون الملك عبدالعزيز ؛ لأنهم إن لم يفعلوا قام الملك عبدالعزيز نفسه بالمهمة ، على ما في ذلك من عناء ، وتأخير .

وننتقل ، بعد هذا ، إلى خطاب آخر من

الأمير عبدالعزيز بن مساعد - رحمه الله - كتبه
للإمام عبدالرحمن الفيصل ، عن عزمه إرسال
سرايا إلى الشمال ، تنفيذاً لجزء من خطة
توحيد المملكة ، وإدخال من ندد من القبائل إلى
حظيرة الجماعة .

(٣) بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة جناب الأجل الأجد الأفخم
سيدي الإمام المكرم عبدالرحمن الفيصل
- سلمه الله تعالى - آمين . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، على
الدوام ، أدام الله علينا وعليكم نعمة الإسلام .
مع السؤال عن الأحوال ، أحوالنا من
فضل الله بخير وسرور .

والخط الي صحبة خادمكم ابن سدحان
وصل ، وما عرفتموا كان لدى محبكم معلوم .

حمدنا الباري على دوام صحتكم وعافيتكم ،
لازلتم في خير وسرور .

عن الأخبار ما جرى سوى الخير ،
وعدم ضده ؛ نرجو أن الله يرزقنا وإياكم
شكر نعمه ، وينصر دينه ، ويعلي كلمته ،
ويديم وجودكم لنا ، وللمسلمين .

قدمنا لكم قبل هذا مكاتيب ، نرجو
إنها وصلتكم ، وتلوتوها وأنتم مسرورين ،
معرفينكم بما يلزم بوقته .

كذلك أدام الله وجودك حناها اليوم
همينا انطلع سرية نبيها توجه لمها الشمال ،
وحال التاريخ رحنا تجهزينها وماشين ، أكود
الله يحذف في أيديهم أحد من لها الغزوان ،
موجب لا بد به ناس من شمر هل الجزيرة
والظفران على لها العربان الشماليين . نرجو
إن الله يذلهم بعز الكريم وأن الله - سبحانه -

ينصر دينه .

هذا ما لزم بيانه . أحببنا إخباركم بذلك .
والسلام على العيال كافة ، ومن لدينا
الولد عبدالله يسلم وادم سالم والسلام ، ٤
ربيع ١ / ١٣٤٤ هـ .

عبدالعزیز بن مساعد

ومن الخطابات التي يوجهها الملك عبدالعزيز ،
يوماً تقريباً ، إلى والده ، خطاب وجهه ، وهو
محاصر جدة ، وفيه من التفصيل ما لا مزيد
عليه ، ويكشف تفاؤل الملك عبدالعزيز بنتيجة
خطته ، التي وضعها وئيدة بطيئة ، ولكنها
موصلة ، والأناة جاءت من أن في جدة قناصل ،
وتعريضهم للخطر يعطي دولهم فرصة للتدخل ،
ورغم تقديره للحصار ، وأن أمده سوف يطول ،
للسبب الذي ذكرناه ، ولأن «جدة» على ميناء ،
تأتيها المؤونة ، وتأتيها الذخائر ؛ إلا أنه في

خطابه لوالده يهدئ روعه ، بأن الوقت لن يطول ،
وأنهم في كسب مستمر ، ويصف هذا الكسب
بأنه أخذ كل ما حول «جدة» ، وأن كل من أطل
من «جدة» أخذ ، أناساً كانوا ، أو معدات ، أو
طائرات ، وهذا ما كان يحدث فعلاً ، فلا تحليق
الطائرات أفاد ، فقد أوقعت عندما حلقت ،
ولا الدبابات التي خرجت جاءت بنتيجة ، فقد
أعطب ما أعطب منها ، وعاد بقيتها منهزماً ،
وهذا هو الخطاب :

(٤) بسم الله الرحمن الرحيم

لجناب الأجل الأجد الأفخم بهي الشيم
حضرة سيدي المكرم الإمام الوالد عبدالرحمن
ابن فيصل المحترم ، حفظه الله تعالى ، وأبقاه ،
آمين . .

بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة

الله وبركاته ، على الدوام ، مع السؤال عن
شريف خاطركم العاطر ، لازلتـم - إن شاء
الله - بكمال الصحة ، وأوفر المسرات . وعن
حال مملوككم - الحمد لله - جميلة تسركم
من كافة الوجوه ، الله - تعالى - يديم نعمه
على الجميع ، ولا يعدمنا بقاكم .

في أبرك وقت وصلتنا كتب حضرتكم
الذي مع صاطي ، والذي بعدها مع صقر
بويديه ، تلونا الجميع مسرورين بدوام
صحتكم ، وجميع ما عرف حضرتكم به كان
لدى مملوككم معلوم ، مخصوصاً - أدام الله
وجودكم - من قبل أخبارنا فقد تقدمت
لحضرتكم بالخطوط الذي مع خادمكم
جرمان ، لا بدها - إن شاء الله - وصلت
لحضرتكم ، واطلعتوا عليها مسرورين ؛
وبعدها لم يستجد عندنا ما نعرف حضرتكم

به إلا دوام الخير .

المسلمين حاضيين من العدو، وزاحمينه،
ومضيقين عليه حد النهاية ؛ ولا يعلم الله
أخبر بقي، لا قصر، ولا بيت، ولا عشه،
خارجة عن زمرة الديرة، ما تولوها
المسلمين، ولا يزول من الديره للعدو زایل،
من تبين من الدراويز ذبحوه المسلمين؛
ومن يوم الجمعة الموافق: ١٣ الجاري
(رجب) وحنا مقربين المدافع من الديرة،
ومحضبينها منها، ومركبينها عليها من كل
جهاتها، ومستمرين في ضربها وتخريبها،
ولا تشوف - والعياذ بالله - داخلها إلا
غبارات ثائرة، ونيران تشتعل . نرجو إن
الله - تعالى - لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .

والحقيقة - أدام الله وجودكم - إن المسلمين
من نهار الجمعة المذكور حضبوا منهم،

وضيقوا مناسمهم ، وإن شاء الله - تعالى -
قريبا تحيكم منا البشارة السارة - بحول الله
وقوته - .

نرجو إن الله - تعالى - ينصر دينه ، ويعلي
كلمته ، ويوفقنا لما به الخير والصلاح
للإسلام والمسلمين ، ويديم لنا بقاكم .

هذا ما لزم تعريفه ، والرجاء مواصلة
أخبار صحتكم ، والسلام على الأولاد ،
كما منا الإخوان ، والأولاد يسلمون ، والله
- تعالى - يحفظكم محروسين .

ختم عبدالعزيز
٢٠ رجب ١٣٤٣ هـ

هذا خطاب واف ، ومعه ملحق ، ويلاحظ
أسلوب الملك عبدالعزيز الثابت في تكرار
بعض الأفكار التي تشغل ذهنه ، ويريد لها أن

تثبت في ذهن مخاطبه مثل عبارة :

«المسلمين حاضيين من العدو وزاحمينه ،
ومضيقين عليه» يقول بعدها ، وقبل نهاية
الخطاب :

«وحناء مقربين المدافع من الديرة ، ومحضيين
منها ، ومركبينها» .

والملاحق الذي صاحب هذا الخطاب فيه
طبيعة الملاحق التي أصبحت متوقعة مع كل
خطاب تقريباً ، وأصبح وجودها شبه قاعدة ،
وفي هذا الملاحق طرافة أيضاً لأنه يكشف جانباً
من جوانب الإعلام المهمة ، التي تخدم المملكة
الفتية ، بالتعريف بها ، وبمنهجها ، وتكشف
عن عاطفة الشعب تجاه قاداته ، والشعر وسيلة
إعلامية معتمده ، خاصة إذا جاء من شخص
مرموق مثل محمد بن عبدالله بن عثيمين ، الذي
وقف جزءاً من شعره على الملك عبدالعزيز

وإنجازاته، وأبان صفاته وميزاته، وسجل خطوه وتقدمه، بشعر جزل لم يكن هناك من ينافسه فيه، إذ كان الأغلب في تلك الفترة الشعر العامي. وفي هذا الملحق تنويه بوصول الجرائد، وخبر جديد على ما ذكرناه، وهو أن الجرائد سوف تذهب للأمير عبدالله بن جلوي، وللتاجر المعروف القصيبي، ولعل إعطاء القصيبي الجرائد، ردٌّ لمعروفه في موافاة الملك بما يردّه هو منها. وهذا نصّ الملحق:

(٥) بسم الله الرحمن الرحيم

لاحق خير وسرور إن شاء الله..

أدام الله وجودكم - ما عرف حضرتكم كان لدى مملوككم معلوم، مخصوصاً برسول حضرتكم المكاتيب الواردة، والجرايد وصلت - الله تعالى - لا يعدمنا بقاكم.

كذلك خطوط الدويش وصلت ، واطلعنا عليها .

بشرتوا مملوككم بصحة حضرتكم ،
وصحة العيال ، الحمد لله رب العالمين ،
وهو تعالى المسؤول أن يلبسكم لباس عفوه
وعافيته ، وأن يديم لنا وجودكم دائماً ، إن
شاء الله . أخبار صحتكم متصلة لنا موجب
الخاطر لا زال عندكم ، نسأله - تعالى - أن
يسمعنا عنكم ، ومنكم ، ما يسرنا ، ويديم
لنا بقاكم .

أدام الله وجودكم من قبل هذولا والله
ما وخرنا عنهم إلا موجب ما عرفنا جنابكم
به ، والا الحمد لله كل يوم نشوف الردى
والضعف فيهم ، وحننا عجلنا ها الطارش
نخاف تكدر خواطركم ، وإلا قريب ، إن
شاء الله - يحبيكم ما يسركم ، الله - تعالى -

يديم وجودكم .

منظومة ابن عثيمين وصلت ، وعلى ما
بالخاطر .

أدام الله وجودكم واصلكم ربطتين
جرايد لعبدالله بن جلوي وللقصبي ، إن
شاء الله تروحنهن لعبدالله .

أما قول الملك عبدالعزيز أن منظومة ابن
عثيمين جاءت على ما بالخاطر ، فدليل قبولها ،
لصدق ما تحمله مما يريد الملك عبدالعزيز أن
يستقر في أذهان الناس في زمنه .

هذه لمحة سريعة ، ومختصرة ، عن جانب من
حياة الملك عبدالعزيز وفترة كفاحه ، أخذته
من مراسلات ، هي أصدق ما تكون الوثائق
عما تتحدث عنه ، وكاشف أمين عما يدور في

النفوس من خطط ، وما تخبؤه النيات من عزم ،
وهي جزء من إطار العمل الجاد ، الذي أدى
إلى توحيد المملكة ؛ والصور التي أخذت من
هذه الكتب هي عن فترة محدودة ، تؤرخ لمرحلة
من الكفاح ، وسوف تكون أداة للمقارنة لما
تلاها من مراحل ، وتُري التطور في الخطط
والعمل ، في ضوء الظروف التي تجدد ، والعوامل
التي تفرض أحياناً تغيير الخطط ؛ وخطوة واحدة
في تغيير الخطط تعدل سير القضية إلى ما يلائم
الظروف ، ولهذا فخطاب واحد يكشف أحياناً
عن أفق واسع ، لا يعرف مداه إلا بعد أن تتبين
نتيجة العمل الذي شرح فيه ، أو ألمح إليه فيه .

الملك عبدالعزيز ومراسلاته^(١)

للملك عبدالعزيز - رحمه الله - أسلوب متميز في أعماله وأقواله يأتي ذلك من طبيعته، ومعرفته، وتجربته في الحياة، ويلحظ هذا التميز في الأسلوب، والانتظام في المنهج، والسليقة الصادقة في الخطط والتحريك؛ فله أسلوبه في اختيار الرجال، واختيار الأقوال، واتخاذ المواقف، والنظرة للآخرين.

كان يختار الرجال الذين يعرفهم ويعرفونه جيداً، فيكون بينه وبينهم تناغم في التصرف والتعامل، ومن ينقصه منهم بعض هذا التناغم يكمله - عليه رحمة الله - بتربيتهم وتعليمهم أصول سياسته، ومجرى نهجه، وتدرجاً ينصقلون، ويدخلون في القالب الذي ارتضاه لهم.

(١) نشرت كتاباً للشهر الخاص بالمجلة العربية، العدد السادس في جمادي الآخرة: ١٤١٨هـ الموافق أكتوبر: ١٩٩٧.

وله قصة مشهورة مع أحد «مناصبه» ،
هذا الرجل كان قد عينه الملك عبدالعزيز في
مركز من المراكز ، وأرسل إليه برقية في إحدى
الليالي ، وكان هذا الرجل خارج المركز ، ولعله
كان في مهمة ، لأنه كان في الصحراء ، فأرسل
الملك برقية ثانية وثالثة ، وكان الذي يستقبل هذه
البرقيات ابن هذا «المنصب» ؛ فلما عاد والده
وجد ابنه مرتبكاً ، وأخبره أن الملك عبدالعزيز
اتصل ثلاث مرات برقياً ، وظن أن والده سوف
يهمه الأمر ، لمعرفة بهيبة الملك ، واهتمام رجاله
بما يأتي منه ، وفوجئ الابن بوالده يقول
للمسؤول عن البرقية «إقفل البرقية ، واذهب
لالنوم» .

فلما أراد الملك عبدالعزيز أن يرسل البرقية
الرابعة أخبره «مأمور» البرقية بأن برقية ذلك
المركز قد أقفلت ، فابتسم الملك عبدالعزيز ،

وقال : «لقد عاد فلان» .

ما عمله أمير المركز أمر خارج عن المعقول عندنا ، وتوَقُّعنا أن يهتم اهتماماً كبيراً ، ولا تغفو عينه ، حتى يعرف ما يريد الملك ، ويتقبل ثورته وغضبه على عدم وجوده في مركزه ، ولكن الرجل جاء بما لا يخطر على البال ، لأنه يعرف أكثر منا الملك عبدالعزيز ، وصح حدسه ، وأصاب المرمى بتصرفه هذا ، وكانت النتيجة ابتسامة رضى من الملك عبدالعزيز لأمير المركز .

هذه لمحة من معرفة الملك عبدالعزيز لرجاله ، ومعرفة رجاله لأسلوبه في التعامل ، ومنهجه في التصرف ، وخطته لتسيير الأمور .

وهذا الموقف يكشف لنا كيف استطاع - رحمه الله - أن يوحد هذا الكيان ، ويحافظ عليه ، لقد أمكن هذا بالسهر ، والمتابعة الملحة ، لم يكن لينام قبل أن يتأكد من بعض المراكز ، وأن

الأمور فيها تسير على ما يرام؛ وكان صقراً في حدة النظر، وصقراً في سرعة الانقضاض عندما يدعو الأمر للتحرك، كان يطوّق الحدث بسرعة خارقة، ويأتيه من كل جانب، بقوى مختلفة، ويندهش المتابع لمقدرته على أخذ أسباب النجاح، وعدم اعتماده على إتقان جانب واحد، وإهمال الجوانب الأخرى، لقد كان - رحمه الله - يحاصر المشكلة حصاراً خانقاً لها، حتى تأتي النتيجة التي يريدّها .

كان يلتفت التفاتة المعني سواء كان الأمر صغيراً أو كبيراً، كلا الأمرين يأخذ منه حقه في التفكير، وفي الالتفات، وفي المعالجة . هذا الرجل الفريد، لا يشغله أكبر الأمور عن أن يلتفت لما قد يبدو لنا من أصغرها؛ ولكنه الباني الذي يعرف أن أي لبنة مهما صغرت لها مكانها في بناء الصرح العالي، الذي أخذ على نفسه أن

يشيده عالياً وقوياً .

قد تبدو مشكلة صغيرة تخص شخصاً من بين الملايين ، وقد ينظر إليها الإنسان العادي على أنها إذا التفت إليها تشغل عما هو أهم منها ، مما يخص سياسة الدولة ، أو أمنها ، ولكن الملك عبدالعزيز ينظر إليها على أنها وسيلة لإعطاء درس ، ووضع قاعدة ، وإبراز قدوة ، فيها مظهر عدل ، وفيها مظهر حزم ؛ وسوف تكون على صغرها درساً لأناس كبار ، ولأمر كبير ، وهذا الخطاب الذي أملاه يعطي مثلاً حياً لالتفاتة لما يبدو صغيراً في مظهره ، وهو كبير في مخبره ، في وقت البناء ، ووضع الأسس ، وزرع الخلق :

(٦) بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل

إلى مسفر بن حمد بن ثعلي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد
ذلك يذكر مرزوق بن حسين العقيلي أن له
عليك دعوى من طرف قلب ، فأنت حال
وصول خطنا إليك تمشي معه للشرع وما
حكم به الشرع فالعمل عليه ، يكون لديك
معلوم ، والسلام . . ٢٢ ذي ١٣٤٣ هـ .

مظهر هذه يوحى بتفاهة الأمر بالنسبة لملك
منشغل بترتيب أمر مكه ، والعمل الشاق الطويل
الذي ينتظره في جدة ، ولكن الملك عبدالعزيز
كان يكافح في جوانب ، ويبني في جوانب أخرى ،
فلا هذا الجانب يطغى على هذا الجانب ، ولا ذاك
الجانب يزاحم ذاك الجانب ؛ هذا له وقته ،
وهذا له وقته ؛ هذا له التفاته ، وهذا له عناية ؛
لهذا ترتيب يأتي بنتيجة ، ولهذا استعداد له
حصيلة ؛ في هذا الخطاب نداء صريح على أن
الملك عادل ، ويتصرف في حدود الشرع ؛ رضي

هذا لنفسه ، ورضيه لأفراد شعبه ؛ دعوى في
بئر ، لم يحتجب عنها أو يهملها ، ولم تفت أذنه
عن أن يستمع للشاكي ، ويلتفت للمشكو ،
ويعطي التوجيه الذي يضع الحق في نصابه .

هذا أسلوب واضح وثابت في تعامله في مثل
هذا الأمر ؛ جاء هذا الخطاب مختصراً ، ومحدداً
الغرض ، دون زيادة أو نقص ، ودون حشو أو
تكرار ، لأن الموقف يقتضي الاقتضاب ، وتحديد
الهدف من أقصر طريق .

ولن يقف الأمر عند كتابة الخطاب ، وهي
أقل مراحل الأمر عناءاً ؛ وأكثر تعباً منها إرسال
الخطاب ، فالوسائل حينئذ بدائية ، ولا بد من
بعير وراكب ، وزاد ومؤونة لهذا الراكب ،
وضيافة له عندما يصل إلى البلد المرسل له ،
وسيكون هناك متابعة لمعرفة ما يتم حتى لا يكون
هناك تراخ في أي من مراحل تنفيذ هذا العمل ؛

فالمرحلة مرحلة بناء ، والناس ينتظرون ما يأتي
من هذا الزعيم الجديد .

وقد أوردنا هنا مثلاً عن عنايته بأمور الأفراد ،
التي أراد بها ، مع العدل والانصاف ، أن يعتبر
الناس ، ويعلموا أن هذا هو النهج الذي سوف
يسير عليه ، وهذا هو الأسلوب الذي سوف
يأخذ نفسه به .

وسنورد أمثلة أخرى عن حرصه على أن
يطلع على دقيق الأمر مثل جليله ، عندما يكون
الأمر متصلاً بالأمر الحربي ، والجانب العسكري ،
لأن الغفلة ، مهما صغرت ، عواقبها وخيمة ،
ووقودها أرواح ، الله أعلم بمدى الخطر على
الفرد الذي سوف يتعرض للموت .

السلاح الحديث في هذه الفترة كان مهماً
للجانين المتقاتلين ، ونقصه ، أو نقص مفعوله
مصدر قلق لقائد الجيش ، لهذا كان - رحمه الله -

يولي جلب الذخيرة، وصنعها عناية كاملة،
ويتابع بنفسه الإنتاج اليومي، ويُوافى رسمياً
بالحصيلة اليومية ولا يأنف أن يأتيه العلم عنها
عن العامل عليها، والكتب التي يرفعها إليه
يومياً أحد المشرفين على مصنع إنتاج الذخيرة
يُعطي مثلاً صادقاً لمدى قدرته - رحمه الله - على
المتابعة الملحة، والإحاطة الشاملة، بكل
جانب من جوانب الحرب، فالحصار على جدة
على أشده، وترتيب مقاومة المدافعين الذين
يفاجئون معسكره بطلعات مختلفة، حيناً
بالبائرات، وحيناً بالدبابات، وحيناً بضرب
المدفعية، تأخذ من وقته وتفكيره ما لم يشغله
على أن يدقق في صنع البارود والقذائف،
وهذه أمثلة من الخطابات التي كان يرسلها
عبدالعزیز زكي، ويبدو إنه كان مساعداً لمدير
المصنع:

(٧) بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الجلالة السلطان عبدالعزيز
ابن عبدالرحمن الفيصل نصره الله . .

أعرض لجلالتكم بأن وصلنا مكة،
وباشرنا في وظيفتنا، من جهة قلول المدفع
لقينا قليل فيها خلاف، بكره نصلحها،
إن شاء الله، وبكره نبدا في تصليح مدفع
الأرهارد، ونعرف جلالتم في النتيجة .

ومن طرف العمال وجدناهم سبعة
وثلاثون رجل، أعملنا تنقيصات إلى ستة
وعشرون، يكون معلوم جلالتم،
ونسترحم من جلالتم تأمروا كلال بك
إذا رسلنا القلول يطلع عليها، وإذا وجد
فيها خلاف يخبرنا في السرعة .

وربنا ينصركم على من يعاديكم

سيدي . . ١٩ رمضان ١٣٤٣

عبدكم : عبدالعزيز

يبدو أنّ عبدالعزيز هذا علم على اسم تركي ،
وأسلوبه يدل على بساطة لغته ، ولا عجب ،
فهو يبدو أنه رجل فني ، يجيد مهنته فقط . ومما
يلفت النظر طريقة مخاطبته للملك في حثه على
عرض ما يتم إرساله على كلال بك ، وسرعة
إخبارهم بما قد يكون في المرسل من خلل ؛
ويلفت النظر إدراكه لرغبة الملك عبدالعزيز في
معرفة الدقائق من الأمور التي تخص العمل حتى
لو كان ذلك إنقاص عدد العمال من سبعة
وثلاثين إلى ستة وعشرين عاملاً .

والخطاب الثاني أرسل في اليوم الثاني ،
ويقول فيه :

(٨) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لجلالة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن
الفيصل نصره الله، آمين.

بعد تقبيل أياديكم الكريمة أعرض
لجلالتكم بأن عملنا تنسيقات، أخرجنا
أربعة عشر من العمل، ووقفنا شغل الليل.

يكون معلوم سيدي، لأنه كانوا يشتغلوا
ليلاً ونهاراً، يعملوا اثنا عشر قله، وها اليوم،
في نصف عمله فقط نهاراً، اشتغلنا خمسة
عشر قلة على موجب المطلوب، واقتصدنا
من أجرة العمل اثنين وثلاثون مجيدي يوميه.

ومن طرف مدفع الأرهارد، بعد أعمال
مئتين قله إلى مدفع الكبير نبدا، إن شاء
الله، في ترتيب قلة إلى مدافع الأرهارد؛
وبكره، إن شاء الله، نقدر نرسل لطرفكم

مقدار ستون قلة لمدفع الكبير ، وصندوقين
بارود انكليزي ، ونسترحم تأمروا كلال
بك يرسل لنا القلل الذي أعطى لنا منه
نمونه إلى مدفع الأرهارد .

وها اليوم جمال بك ما أتى إلى المعمل ،
ولقيت بين عمله مقدار ستة أولاد صغار
خرجتهم ، وعلمت حافظ بذلك ، لأجل
لا يزعل عليه جمال بك ، وحببت أخبر
جلالتكم فيه ، لأنه لو جمال بك حاضر
عندنا كان ما خرّجتهم إلا في أمره .

ونسأل الله - سبحانه ، عز وجل -
ينصركم ، وينصر جيوشكم ، المسلمين ،
على أعدائكم ، ويوفقنا على أعمالنا ،
سيدي .

٢٠ رمضان ١٣٤٣

عبدكم : عبدالعزيز

هذا خطاب طريف ، ومليء بما يستوجب
الملاحظة ، ويستدعي الوقفة المتأنية ، التي
تكشف بعض ما دلت عليه العبارات عما كان
قائماً ، وعما طرأ على الدوائر بعد أن تولى
السلطة الملك عبدالعزيز :

أولاً: كاتب الخطاب رجل تركي ، كما يبدو ،
لم تستقم بعد لغته العربية ، ولكن فنه ومهنته
قدّمته ، واكتشف الملك عبدالعزيز قيمته ،
وأعطاه الثقة ، التي جعلته يخاطب الملك رأساً ،
دون تكلف ، أو تردد . ومن جملة ما كشف عن
ضعف لغته العربية بعض التعابير مثل «إلى
مدفع الكبير» بدلاً من للمدفع الكبير .

ثانياً: هذا الرجل مؤدب في تصرفه ، فهو لم
يخرج العمال دون إذن رئيسه إلا لغيابه ، ولو
كان حاضراً لما فعل ذلك .

ثالثاً: هو ذكي ، ويعرف صولة الملك

عبدالعزیز وهیبتہ، فأراد أن یسبق مکیدة
أحد، ویخبر الملك عبدالعزیز بما فعل، فإن
سکت الملك عبدالعزیز، فهذا دلیل رضی،
وإلا فبالإمكان إعادتهم.

رابعاً: ذهب عهد فوضی، وجاء عهد
نظام، وذهب عهد غفلة، وجاء عهد یقظة،
ذهب عهد اهتزاز فی الولاء، وجاء عهد صدق
فیه؛ رأى العاملون رؤساءهم لا یهتمون
فأهملوا، عبدالعزیز زکی هذا رجل یبدو أنه
مخلص، کان یرى خطأ فی الماضي، فوجد
الوقت الآن لإصلاحه، فأصلح ما أصلح،
وذكر الأسباب، وأعطى المبررات؛ کان العمال
أكثر مما یحتاج العمل، فنسق من رأى الاستغناء
عنه، دون أن یختل العمل، وأسقط ساعات
«خارج الدوام» فلم ینقص الإنتاج بل زاد،
ووفر جهداً، ووقتاً ومالاً «عظيماً!!»؛ اثنين

وعشرين من العُملة المَجِيدِيَّة يوميةً .

خامساً: نلمس طرفاً من ظاهرة الفساد في الإدارة السابقة، في العهد السابق، ولعله من زمن الأتراك، الذين عرفوا بمثل هذا، وعبدالعزیز زكي سارع إلى تنفيذ ما لعله كان يفكر فيه من قبل، فهناك صغار، لعلهم جاؤا عن طريق المحسوبية، فلا جهدهم عالٍ، ولا الثقة فيهم متوفرة، في مكان مهم، مثل هذا المصنع الحربي، الذي لابد أن عين العدو في الماضي والحاضر عليه، وفيه من مسببات الالتهاب والاشتعال والاحتراق ما لا مزيد عليه .

سادساً: هذه اللهجة غير المتكلفة التي تقترب من الأمر أحياناً، تدل على الصلة الطبعية بين هذا القائد العظيم وهذا الفني النابه، تماثل بينهما في إتقان العمل في المهنة التي يجيدها كل واحد منهما، وليس للتمنيق، وجمل الاحترام

مكان، كل جملة لها معناها الدقيق، ومرماها
الجليل: اختصار في العمال، توفير في المال،
زيادة في الإنتاج بأنواعه. كلمة «يكون معلوم،
سيدي» كلمة موسيقية في هذه المناسبة، لها رنين
في الأذن، ولا أشك أنها رغم صيغة الأمر المؤدب
فيها إلا أنها تشنف أذن الملك عبدالعزيز، لأن
وراءها الفعل المحمود، وهذا هو المهم.

سابعاً: الوقت وقت حصار وحرب، وخير
دعوة توجه في أول الخطاب، وفي آخره، هو
الدعاء بالنصر، ففي أول الخطاب يختم السطر
الأول بقوله: «نصره الله، آمين» وفي آخره يقول:
«ونسأل الله - سبحانه، عز وجل، ينصركم،
وينصر جيوشكم، المسلمين، على أعدائكم».

ثامناً: كلمة: «المسلمين» ميز بها جيش
الملك عبدالعزيز، لاختلافهم عما عرف قبلهم
من جيوش، التصرف الإسلامي آخر ما يفكرون

فيه ؛ أما هؤلاء فمعترف لهم بالتمسك بالدين .
تاسعاً: لم ينس أن يدعو الله أن يوفقه في عمله ،
ولا يسع الملك عبدالعزيز هنا إلا أن يقول :
«آمين ، آمين» ، لأن حصيلة هذا التوفيق فيه
زيادة في الإنتاج ، وإتقان له .

ويأتي في اليوم الثالث خطاب ثالث ، فيه
فحوى ما في سابقه ، وهو ، وهما ، مصدر إحصاء
دقيق ، لهذا الجانب الحربي ، يقول فيه :

(٩) بسم الله الرحمن الرحيم

لجلالة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن
الفيصل نصره الله .

بعد تقبيل أياديكم الكريمة ، أعرض
لجلالتكم ، أرسلت ستون قلة ، وستمئة
فتيل ، ومئتين قبسول ، وصندوقين بارود ،
وجمال بك صار يومين ما تواجعت معه من

حين وصولي ، قطع رجله من المعمل ، لأجل
ذلك صرت مجبور أقوم بالشغل وحدي ،
يكون معلوم جلالتم سيدي .

٢١ رمضان ١٣٤٣
عبدكم : عبدالعزيز

وفي اليوم التالي يأتي الكتاب حاوياً إحصاءاً
جديداً عن ذلك اليوم ، ومعلومات أخرى ،
والنمط واحد ، والأسلوب واحد ، يقول
عبدالعزیز زكي في خطابه للملك :

(١٠) بسم الله الرحمن الرحيم

لجلالة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن
الفيصل نصره الله ، آمين .

سيدي ، وصلنا كتابكم العزيز ، وصار
عندنا معلوم بما ذكرتم لنا فيه ، وإن شاء
الله إني حريص على شغلي ، وأجتهد في كل

الاجتهاد، إن شاء الله .

ومن طرف صديق ما له لزوم عندنا ،
لأنه ليس له معلومات في هذه الفن ، لكن
إن شاء الله أقوم في هذه العمل ، وأبيض
وجهي قدام جلالكم .

ومن طرف شغلنا هاليوم عملنا عشرون
قلة للمدفع الكبير ، وقاعدین نجتهد في
معاونة إبراهيم بن مساعد بتصليح مدفع
المصري ، والتوفيق من الله - سبحانه وتعالى .

في مكتوبنا الأول طلبنا من كلال بك
القلول الذي بدنا نعمله إلى الأرهارد ،
نسترحم تأمروا حتى يسرعوا لنا في إرسال
القلول ، لأنه نجتهد ولو واحد مدفع
ارهارد ترسل قبل العيد . والأمر لمن له
الإمر سيدي . . ٢٢ رمضان ١٣٤٣

عبدكم : عبدالعزيز زكي

في هذا الكتاب إشارة واضحة إلى أن عبدالعزيز زكي يصله من الملك عبدالعزيز تعليمات مباشرة، وقد يكون فيها اقتراح بتعيين «صديق» ليساعد في العمل، ولكن عبدالعزيز زكي لا يعتقد أن هذا مريح له، إما لأنه لا يريد المزاحمة، وهو الذي، كما يبدو، كان حديث عهد بالتخلص من رؤسائه غير المريحين، أو لأنه كما ذكر «صديق» غير فني، ووجوده لن يساعد، بل سوف يعرقل، والرد على الملك عبدالعزيز لا يخلو من جرأة يخفف من حدتها التبرير الذي أبداه.

وحماس عبدالعزيز زكي لعمله واضح في حثه الملك على إرسال من لديهم القلال قلالهم حتى ينجزوا شيئاً قبل العيد، والعيد سوف يكون فيه بعض الراحة اللازمة. والقلال مهمة لأنها غذاء المدافع، وذخيرة رميها.

وفي خطاب خامس يقول عبدالعزيز زكي:

(١١) بسم الله الرحمن الرحيم

لجلالة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن
الفیصل ، نصره الله ، آمین .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
أعرض لجلالتكم بأن راجعنا الشيخ حافظ
من طرف أجرة العَمَلَة ، فأجابني : ما عندي
فلوس ، راجع الإمام . ونحن منتظرين
أمر جلالتكم . من طرف أجرة العَمَلَة لمن
نراجع عليه ، لأنه بكره إذا ما عطينا الأجرة
العَمَلَة ما تشتغل العَمَلَة ، والشغل يوقف .
الأمر أمر جلالتكم .

وها اليوم اشتغلنا عشرون قلة للمدفع
الكبير ، وعشرة قلول مضاعف ، يكون
معلوم سيدي .

٢٣ رمضان ١٣٤٣

عبدكم : عبدالعزيز زكي

يكشف هذا الخطاب عن أمر مهم، ومعروف، وهو العسرة المالية التي كان يمر بها الملك عبدالعزيز، وهو يعاني حرباً ضروساً، ويحمل همّ متطلبات توحيد الكيان، وبناء أعمدته؛ وحافظ وهبه عندما أحال عبدالعزيز زكي على الملك لعله كان يؤمل أن يكشف الملك الضائقة المالية، التي يمر بها حافظ أيضاً، وهو يتلقى طلبات أمثال عبدالعزيز زكي. وقيمة عبدالله السليمان الحمدان جزء من ارتفاعها عند الملك يعود إلى مقدرته - رحمه الله - على تدبير الأموال في وقت الأزمات، واقتراضها من التجار الموسرين.

وهذا الخطاب يكشف أهمية حافظ وهبه في هذه الفترة المبكرة عند الملك عبدالعزيز، وتقدمه في صف خدمته - رحمه الله، وهذه الصلة المبكرة بالملك عبدالعزيز - رحمه الله - أعطت حافظاً - رحمه الله - وقتاً للتعرف بعمق على سياسة الملك

عبدالعزیز، واتجاهاتها، حتی أصبح قریباً من نفسه، وله دالة مؤدبة علیه - رحمهما الله - توجت بالثقة المتناهية بحافظ حتی لم یجد خيراً منه، لیكون سفيراً للمملكة العربیة السعودیة لدى بریطانيا، فترة طويلة، تعدت ما تعرفه الأعراف الدیپلوماسیة، حتی أصبح أشهر عمید سلك سیاسي فی زمنه .

ولم یتردد عبدالعزیز زکی بأن یلمح بما یشبه التحذیر من إضراب العمال، وهو أمر خطیر فی وقت الحرب، الذی عادة تعلن فیہ الأحكام العرفیة، والإعدام أقرب الأحكام جزاءً للذی دول ذلك الزمن .

ولم ینس عبدالعزیز زکی فی هذا الخطاب المختصر أن یعطي الإحصائیة الیومیة لعمل القنابل بأنواعها، ویلمح إلى أنها حصیلة جیدة؛ والعمل بلا شك كان یحوطه الجهد الشاق،

والعمل المضني ، خاصة عندما نتذكر أن الوقت رمضان ، وهو وقتٌ حرارته من المعوقات ، فهذه التواريخ تقع بين يوم ١٢ و ١٧ أبريل من عام ١٩٢٥ ، وإمكانات التبريد معدومة .

ويأتي الجواب السادس والأخير ، وله وزنه وقيمته ، لما حواه من معلومات ، يقول فيه :

(١٢) بسم الله الرحمن الرحيم

لجلالة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن
الفصل - نصره الله .

أعرض لسيدي : أرسلنا أربعون قلة من
الصغار حق مدفع الكبير ، وقلتين مضاعف ،
استرحم من جلالكم تأمروا كلال بك يجرب
المضاعف ، هل موافق ، أم لا ، تعرفونا .

ومن طرف أجرة العملة الشيخ حافظ
يقول ما بقى عندي فلوس . ننتظر أمر

جلالتكم في هذه الخصوص . وربنا لا يحرم
الإسلام من وجودكم ، وينصركم على
أعدائكم سيدي . ٢٤ رمضان ١٣٤٣

عبدكم : عبدالعزيز

ها اليوم عملنا ثلاثة عشر قلول صغار
وتسعة قلول مضاعف من الكبار يكون
معلوم سيدي .

وأرسلنا صندوقين بارود ومئة قبسول .

لا تزال معضلة المال تشغل بال عبدالعزيز
زكي ، وهو يضع الأمل في الملك أن يسعفه ،
ولعل همه قد أتت حدته من أن الوقت رمضان ،
ومتطلبات رمضان في مكة عالية ، يضاف إلى
هذا أن العيد على الأبواب ، وللعيد ثوب جديد ،
واستعداد لا يكمله إلا المال .

هذا نموذج لأسلوب الملك عبدالعزيز في

العمل ، ونهجه في تسيير الأمور ، وقد ساهم
هذا في إنجاح مسعاه ، تواضع متناهٍ ، ويقظة
متناهية ، وحزم متناهٍ ، ونشاط متناهٍ ، له «سنارة»
في كل بحر ، وبيده سلاح لكل أمر ، لا يعطي
نفسه راحة ، لأن الهدف بعيد ، والطموح
عميق ، والغفلة مهلكة ، والراحة في تلك
الفترة تجلب التعب والندم .

هذا مثل لجانب فردي من معالجة الأمور
الرسمية ، ولها جوانب مختلفة ، هذا أحدها ؛
ورغم ما في هذه الأمور من هم ، لأنها تتصل
بالحرب القائمة ، والتي على نجاحها يتوقف
مستقبل توحيد المملكة ، وإزالة إحدى العقبات
الكأداء ، ورغم ما تحتاجه من مواد شحيحة ،
والحصول عليها ليس بالسهل ، وما تحتاجه
هذه المواد من مال يحتاج الحصول عليه إلى جهد
ووقت ، إلا أن هناك ما قد يفوق هذا الأمر في

الصعوبة ، وهو ضم أجزاء في قلب بلاد الملك
عبدالعزیز ، وثبتت الحكم فيها ، وهي التي
تعودت على الفوضى ، والتناحر على الحكم
بين أبناء كل بلد ؛ وقد بدأ شكل المملكة يتبلور ،
وبدأت صورته الموحدة تتضح ، مما يقتضي زيادة
في الجهد والحذر واليقظة ، والتصرف بذكاء ،
وحسن الظن بمن هو أهل لذلك ، ليكون عضداً ،
والشك فيمن ولاؤه مهتز ، وإدخاله في بوتقة
تعلمه حسن الوطنية ، وصفاء الولاء ؛ ولهذا
لعبت المراسلات دورها في معالجة الأمور ،
واتسمت بسمة أعطتها شخصية انفردت بها ؛
وإذا كنا رأينا الاختصار في معالجة حادث اجتماعي
فردی ، فالمراسلات السياسية الداخلية تختلف
عن ذلك ، ففيها إطالة ، نوعاً ما ، وفيها تكرار ،
يتعاقب فيها الإغراء مع التهديد ، ويتتابع
الجذب مع العنف ، يبدأ الخطاب باللين ، ثم

يعقبه التلويح بالعصا، ثم يطل اللين برأسه مرة أخرى، ثم يعود التجهم، وهكذا دواليك، حتى يشعر الملك أن وسيلة نجاح الغرض من الخطاب قد اكتملت.

وسوف نأتي بمثل من أمثلة أسلوبه في الخطابات، وهو أسلوب يكشف عن فهمه التام لنفسية الذين يخاطبهم، وغوصه عمقاً إلى ما يكمن في قلوبهم؛ فكان التأثير كاملاً، والوصول إلى الهدف مضموناً.

ومن مظاهر أسلوبه في المخاطبة للفتات المختلفة من قومه اللجوء إلى ما يشبه التعميم في وقتنا الحاضر، فهو يكتب صيغة واحدة، ويرسلها لعدد من الأشخاص والبلدان، يضمنها تعليمات واضحة ومحددة، لا يشوبها لبس في ألفاظها، ولا في مدلولها، فالتعابير مما هو معروف ومتداول، والكلمات مثلها مما يعرفه الناس

جيداً؛ وقد كتب ثمانية خطابات متماثلة
المحتوى، ومتشابهة المدلول، لا يختلف فيها
إلا خط ناسخها، وهذه صيغتها:

(١٣) بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل،
إلى جناب الأخ المكرم سليمان بن سعد
بن عفيصان وكافة أهل سلمية سلمهم الله
تعالى.

بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته، على الدوام، مع السؤال عن
أحوالكم، لا زلتُم بخير وسرور، وأحوالنا،
من كرم الله، جميلة.

بعد أنا والله ثابت عندي معلوم إن ممشى
إخوانكم ها المتقدم، وأنتم ما انتم معهم،
إنه غائكم كثير، لأجل هذا درب كل

إنسان فيه حمية ، دين ودنيا ، يجتهد فيه ،
وأنا مخليكم عمد ، أبيكم تقضون لوازمكم ،
لأجل وقت صفري ومثله ، واليوم الحمد
لله قضيتوا لوازمكم ، وتفهمون ، والله
العظيم ، إني ما استلحقتكم وأنا أعلم إن
واحد من المسلمين مالاً ، أوله قصد ايتعدا
ها القرية حتى يقضي الله أمره عليهم ، عاجلاً
أو آجلاً ، لكن عزمت لي على علم ، نرجو
أنه يصير خيره ، وصلاح للإسلام والمسلمين ،
وإنه بعد ما تحضرون عندي ، إن شاء الله ،
أخلي طائفة من المسلمين اتغزي شمال إلى
أعداء الله ورسوله ها الكفار ، لأجل يدرون
إن المسلمين فيهم خير وبركة ، إن شاء الله
وأنا كان عزمت إني أخليكم تثورون نفر عام
لكن دريت إنه أمر بيصير مختبط ، ولا يجي
على المطلوب ، لكن أنتم توكلوا على الله ،

إن شاء الله ، ويصير جهادكم مثني ، والمطية
عليها ثلاثة رجايل ؛ وخذوا زهاب أربعة
أشهر لأجل تدرون لو قضى الله أمر هذولي ،
وهم إن شاء الله بيقضي الله أمرهم ، والمطلوب
غيرهم بحول الله وقوته .

أيضا هنا علم ثاني : العرايق والkraوي ،
ويني وإياكم ، كل جميع رجال معروف ،
لا تاجر ولا أمير ، ولا طالب علم ، كلهم
يثورون ، ولا لأحد عذر ، ما بأنفسكم
أعز من نفسي ، وإلا من أنفس المسلمين .
أما الإنسان الذي فيه غارية دين ودنيا فهذا
موجبها ، والذي ما فيه غارية دين ودنيا
فهذا يخاف . وأنا ظني بالله ثم بكم جميل إن
شاء الله . وأنتم توكلوا على الله ، ومثواركم
يصير بعاشر من ربيع الأول ، وترى طيب
الناس دين ودنيا الذي يبادر بالعجلة ،

وكلّ مشيوف بجهدته، ولاشك أنتم الله
الله في أمرين: الرجال الطيب، والسلاح
أم خمس، وأم أحد عشر، والعدة كثروها.
وأما الجيش ماشا لكم ووصلكم إلينا فهو
المبروك، إن شاء الله.

هذا ما لزم تعريفه، ودمتم محروسين،
والسلام.

الختم

٢٠ ص ١٣٤٠

(العرايق: جمع عرقة، أجرة الرجل. والكرابي: جمع
كروه، أجرة الدابة وغيرها، الجيش: الإبل)

هذا نموذج جميل من نماذج مراسلاته،
أسلوبه فيه واضح، وفيه القاعدة الثابتة لما
عرف عنه في هذا المجال، فهو لا يعطي مجالا
للغموض، أو فرصة للشك، ولهذا فتعابير
عامية، ومما يفهمه المخاطبون، ويؤكد الوضوح
بالتكرار، فالفكرة يعيدها أحيانا أكثر من مرة،

وليس تباعاً، وإنما بعد فكرة أخرى مختلفة .

وفي هذا الخطاب مما يلفت النظر عدة أمور :

أولها: نغمة الاعتذار الأبوية التي جاءت في
مستهل الخطاب ، والمعروف عند أهل نجد ،
ممن انضم تحت لوائه ، أن الغزو معه شرف ،
وباب رزق ، ولهذا فهو إذا «نبّ» على أهل بلد
وندبهم بأن يغزوا أصبح هذا مصدر فخر لهم ،
لما فيه من مظهر ثقة ، ووحى بالإقرار بقوة الولاء ،
وعلو مستوى الشجاعة ؛ ولهذا يشعر من لم
«يُنَبّ» عليه ، ويُنتدب لمهمة أنه أهمل ، وقد
يكون ذلك لإشاعة غير حسنة بلغت الإمام
عبدالعزیز عنه أو أمر «غلث خاطره» منه ،
وكدره .

هنا في هذا الخطاب يُطمئن الذين لم يتدبهم
في أول الأمر مع الفريق الذي أخذه معه للغزو
والحرب ، ويبين لهم السبب المنطقي المقنع في

تركهم ، وأنه تركهم مؤقتاً حتى ينتهوا من
مشاغلهم من زراعة وغيرها ، فالوقت وقت
خريف ، وهم في حاجة إلى الالتفات إلى أمورهم
الخاصة فيه ، وبعد أن ينتهي ذلك سوف يكون
لهم نصيب في المشاركة .

نظرة أبوية حانية ، تدغدغ القلوب ، وبلسم
ينزل على الأنفس ، فيزيل ما قد يكون ران عليها
من جراء الإشاعات التي قد يكون سارع إلى
بثها من في قلوبهم مرض .

ثانيها: هذا الحماس عند الناس للغزو ،
وخدمة الدولة ، وتقوية حدودها ، وصيانة أمنها ،
أوقد جذوته - رحمه الله - بأن طلب هذه الفئة التي
لم يطلبها أولاً ، لأن ما معه من الجيش يكفي
المهمة التي هو قائم بها ، مع ما ذكره عن تركه
لهم لقضاء حوائجهم ، لمهة أخرى فكر في أنهم
سوف يفيدون فيها ، ويستفيدون ، وهذه لفظة

ذكية من قائد عبقرى ، لا يضع الفرصة ، ولا يغفل عن الاستفادة من بارقة النفع .

ثالثها: إبحاؤه لجيشه بأن هذا العمل لا يفتر عن الحماس له مَنْ عنده إحساس دينى ودينوى ، وتكراره لهاتين الكلمتين يدل على أنه يقصد فعلاً غرس النية السامية ، والهدف النبيل ، فى أنفسهم .

رابعها: حذره الشديد فى إرسال الجيوش ، وتحريره أن يكون ذلك فى حدود ترتيب يبعد عنه الفوضى ، التى قد تأتى من الاختلاط المتنوع للقبائل المختلفة ، وهذا ما صرح به ، إذ كشف أنه فكر فى النفير العام ، إلا أنه وجد أن ضرره فى النهاية أكثر من نفعه ، ولم يقدم إلا بعد تفكير عميق على خطوة مضمونة السلامة فى حدود ما هىء لها ، وكان دقيقاً فى هذه التهيئة .

خامسها: لم يترك لأحد أن يجتهد فى هذا

الأمر المهم ، حدد الأمور التي تحتاج إلى تحديد ،
وقارئ اليوم سوف يدهش من هذا التحديد ،
فقد حدد نوع الجهاد ، وعدد ركاب كل بعير ،
وحدد أن تكون المؤونة لأربعة أشهر ، لأن
المهمة قد تمتد لغير من قُصِدوا في الأمر .

سادسها: حرصه على جميع فئات الشعب أن
يغزوا ، لا فرق بين الرجل العادي ، أو التاجر ،
أو أمير القرية ، أو طالب العلم ؛ لقد سد
الأبواب على الأعداء ؛ لقد لَحَ هنا بعضا الحزم ،
فالأمر ليس أمر تطوع ، وإنما استنفار ؛ ثم جاء
بالسبب منطقا وحجة ، فقال ليس هناك مَنْ
نفسه أغلى من نفسي ، أو نفس أي فرد غازٍ
معي ؛ ثم أكد هذا بأن وضع قاعدة وهي أن من
غزا فإن لديه حمية دينية ودنيوية ، ومن تعذر
فهو خال من ذلك .

سابعها: بعد أن تجهّم عاد فانطلق وجهه

بإبداء حسن الظن بهم ، وأنه لن يخيب أمله في
تجاوبهم وحماسهم ، وذكرهم بأن قيمة المرء بما
يبدله ، وبما يأتي منه من أمر جيد ، يراه الناس ،
ويحمدونه عليه .

ثامنها: حث مهم ، وفي مكانه ، هذه حرب ،
وعدتها لنجاحها عنصران ، الرجال والسلاح ،
ولهذا حث على الرجل الشجاع ، والسلاح
المتفوق ، والسلاح الذي كذلك ، في ذلك الزمن ،
هو البندق أم خمس ، وتليها أم إحدى عشر ،
وحث على كثرتها مع المجاهدين .

تاسعها: «الجيش» ، أو الإبل ، نبّه إلى أنه
يكفي منها أقل عدد يوصل الغزاة إليه ، إما
لقلتها لدى هؤلاء ، أو لأن العلف شحيح ، أو
لأن الأمل في أن كسب إبل من العدو سوف
يعوض هؤلاء عن قلة ما معهم .

هذه لمحة سريعة عن هذا الخطاب المعمم ،

أبانت جوانب من اهتمامه - رحمه الله - وأسلوبه في إدارة الأمور عن طريق الرسائل ؛ واختياره للعامة مع من يخاطبهم من نجد أسلوب ناجح ، ويقول عبد الحميد الخطيب - رحمه الله - أنه استدعاه لكتابة رسالة أملاها عليه ، فكان يجتهد في صياغة ما يقوله الملك بالعامة باللغة العربية ، فلما ختم الرسالة ، وأنهاها ، طلب منه ، كالمعتاد ، أن يقرأها عليه ، فلما قرأها ابتسم الملك ، وقال إن من كتبت لهم لن يفهموا ما كتبت أنت ، فأعاد عليه الإملاء ، وكتبه عبد الحميد كما سمعه ، ويقال إن هذا الموقف تكرر مع محمد سرور - رحمه الله - .

الملك عبدالعزيز هنا رجل عمل ، يهيمه ما يدرج العجلة ، أما الشكل فلا يأتي في باله ، إذا كان ينقص من قيمة العمل ، وجودته .

صور لما حواه الكتاب من
خطابات الملك عبدالعزيز
- رحمه الله - وبعض رجاله - رحمهم الله

عرف حضرتكم فان لم ير محمدكم معلوماً فعوضاً عنه فكم وصية الربال محمد بن الحسن بن علي
عليه السلام ان يريم لنا بكم وليبكم بالالهة والما غير انما عفة محمدكم فليس له شكم ولا عذر
عنه عذرا ما نغيبه حضرتكم به فقط وصلنا طر شمس الكدس ما نردو يا هذا فقطه معجب
ايهين اوراق مقاوله الاضداد الجاهل به اما هذا صبايح ومرو صبرا لا بدل فيكم ورس قبل
ندوبه ما حاسر بينهم وعنده به الارزله شي وقد سافرو منور به الارزله را جمعنا ولما
مدربنا العطارق فلا وصله وموجب تعزفي منور بيننا انهم بي نيتخرونك اسويج انه وصلو
مدربنا العطارق ولا فالجلا في حضوره جميعه منور بيننا نسل الله تديره ما نر الخير ..
به قبل الجرايه فلا جانا به توجونا به حضرتكم شياخلاق الجرايه الذي رجت عنه طريقكم
بافق وصل الاليم وحنا على جناح سفر ولا بعد تخلياها اننا انه اذ وصلنا انكاه
لمرطبه نعرف حضرتكم بل ورس قبل خانات الاليم هذا مشربيه به به به نال الخمين
الاجهر اسني انا العنني وحنا يا نا بطهير نستقيم فحنيها بيم الجهد والسيقات الله
ارحبه حنا وحنا يا منه الطهير والضاها اننا انه اننا نشرف بتعريفكم حلا ورف
به ان رجا القادام نسل الله تعالى يدرينا ياكم والجميع بخير ورسوبه اننا بكم محزون

اودام الله وجهي وكنتم ما عرفتم منكم كان لدي مملوكم مسلم مخلصاً مسروراً حضرتكم المكاتيب الواردة والجواب وصلت الله تعالى لا بعدنا بياكم كن ذلك حفظوا الدين وصلت واطلعتنا عليكم بشتر مملوكم بوجه حضرتكم وصحة العمل الحمد لله رب العالمين وهو تعالى الله عن ان يلسم لباس مملوكم عفو وعافيتيه وان بياكم لنا وجهي وكنتم دائماً اننا الله اضماره عنكم متعلمة لنا معصية الخاطر لا زال عنكم نفلهم تعالى ان يسمعنا عنكم وكنتم ما يسرنا وبياكم ان نجاكم

اودام الله وجهي وكنتم ما قبل هذله لادان ما رضنا عنهم الاموجب ما عفا عنا جنابكم به والو الحمد لله كل يوم نشوق السرى والضعف فيهم وضاكننا لها لظواهر نخاف تدر رضوا طرهم والو قريب اننا الله يحكم ما يسركم الله تعالى بياكم وجهي وكنتم مضمومة ان عثماني وصلت وعلمي ما بلخاطر

اودام الله وجهي وكنتم ما قبل هذله لادان ما رضنا عنهم الاموجب ما عفا عنا جنابكم به والو الحمد لله كل يوم نشوق السرى والضعف فيهم وضاكننا لها لظواهر نخاف تدر رضوا طرهم والو قريب اننا الله يحكم ما يسركم الله تعالى بياكم وجهي وكنتم مضمومة ان عثماني وصلت وعلمي ما بلخاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الجلالة السلطان عبدالعزیز بن عبدالرحمن الفیصل نصره الله
اعرض لجدتکم بأن وصلنا مکه وباشرنا فی وضیقتنا من جهة
قول المدفوع لیتنا قبل فی خندق بیده نصلح اننا
صبره یدى فی تملیح مدفو الارصاد - ونفد جدتکم
فی التیجہ ونی طرف العال وهدناهم سبعة وثلاثون
رجل اعلنا تنقیصات الی ستة وعشرون بقون معلوم
جدتکم ونسندهم من جدتکم تأمروا کلال به اذا
رسنا القول بطاع عیلا واذا وجد فی خندق نخرنا
فی السرحه وربنا نبهکم علی من یباریکم سیدی ۱۹

عبدکم
عبدالعزیز

بسم الله الرحمن الرحيم

(۷)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِحَالِكَ لَا تَزِيلُ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَهُوَ الْقَدِيرُ
 جِدَّ تَلَمَّ فِيهِ لَسَةُ لَوْ هُوَ بِكَ حَافِظٌ عِنْدَنَا لَمْ يَخْضَعُوا إِلَّا
 فِي أَمْرِهِ وَتَسْلُ لَمْ يَجَانِ نَزْهَةً وَجَدَ يَعْطَمُ وَبَعْدَ بَرِيَّتِهِمْ
 الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَبَرَقْنَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ سِيدِي
 عِيَالِكُمْ
 عِيَالِكُمْ
 عِيَالِكُمْ

بِحَالَتِ السُّلْطَانِ عِيَالِكُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَهُوَ الْقَدِيرُ
 بِتَعْيِيلِ الْبَارِكِ الْكَبِيرِ أَعَزَّ بِرَحْمَتِهِمْ أَنْ يَكُونَ تَسْقِطَاتِ
 أَرْجَاءِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنَ الْعَمَلِ وَوَقْنَا تَعْلُ الْعَمَلِ بِرَحْمَتِهِمْ
 سِيرَى لَسَةٍ كَانَتْ يَتَقَنَّوُ الْبَيْدُ وَنَزَّ بِعَمَلِ أَنْشَاءِ عَمَلِهِ
 وَهَيْمِمْ فِي نَفْعَةِ الْعَمَلِ قَطْلُ لَمْ يَسْتَعْنَا تَحْمِيَّتِهِمْ
 عَلَى مَرْجِيَةِ الْمَطْمَئِنَةِ وَتَعْمَدْنَا مِنْ أَمْرِهِ الْعَمَلِ أَنْشَاءِ بَرَقْنَا
 مَجِيدِي بَرِيَّتِهِ - وَمِنْ طَرَفِ سِرِّهِ الْأَرْهَادِ بَعْدَ عَمَلِ بَرِيَّتِهِ
 قَبْلَهُ إِلَى سِرِّهِ الْبَرِيَّتِ بَرِيَّتِ أَنْشَاءِ فِي تَرْجِيَةِ تَعْلُ إِلَى سِرِّهِ
 الْأَرْهَادِ وَبَرِيَّةِ أَنْشَاءِ فِي تَعْمَدِ تَعْلُ لَطَرَتِهِمْ تَعْمَدِ - سَتَقُونَ
 تَعْمَدِ لَطَرَتِهِ الْكَبِيرِ وَتَعْمَدِ بَرِيَّتِهِمْ بَرِيَّتِهِمْ بَرِيَّتِهِمْ بَرِيَّتِهِمْ
 كَمَدَلِ فِي سِرِّهِ تَعْلُ الْأَرْهَادِ الْأَعْلَاءِ تَعْمَدِ نَزْهَةً إِلَى سِرِّهِ
 الْأَرْهَادِ وَهَيْمِمْ حَالِ بَرِيَّتِهِمْ حَالِ الْأَعْلَاءِ وَتَعْمَدِ بَرِيَّتِهِمْ
 بَرِيَّتِهِمْ تَعْمَدِ - سَتَقُونَ الْأَرْهَادِ وَتَعْمَدِ بَرِيَّتِهِمْ بَرِيَّتِهِمْ

بسم الله الرحمن الرحيم

لحمدك السلطان على الدنيا به عبد الرحمن انفسه لله
بعد تفصيل ايا دينهم الكرم اعرض لجلد لقاكم است ستر
قله وستمائة قتيل ومائتين قبول وصدوقين بارود
يمال يدك صار لبريين ما توأمرت معا من حين وصولي
رحمه من المعص لأجل ذلك صرت مجبوراً لعدم بلشغل وحدي
يكون معلوم جلد لقاكم سيدي / ١١ / بقا

عيسى
عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جبلت السلطان عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل نصره الله امين

سيدي وصنا كنا بكم العزبة وصار عندنا معلوم بآزركم لنا
فيه وانت الله اني حريص على سفلي وأجتهد في كل الجهاد
انت الله ومن طرف صديق ما هو لزوم عندنا لئله ليس
له معلومات في هازه الفن لآكن انت الله اقم في هازه
الصن وابيض وجوه قدام جلالتك ومن طرف سفلي
صليهم عملنا عشرون قله للمدفع الكبير وقاعدتي نجتهد
في عارنت ابراهيم بن ماسد بتصليح مدفع المدعي والتوفيق
من الله سبحانه وتعالى في مكتوبنا الاول طبعنا من كلال
به القول الذي يذنا نعلمه الى الأبرهارد نضمهم تأمره
حتى يسعوا لنا في ارسال القول لئله نجتهد ولو واحد
مدفع ابرهارد نرسل قبل العيد ولا ركني له الأبرهارد

عبدالم
عبد العزيز بن

أ. ب. صفائح

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الفقيه نفسه لله آمين

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اعرض لجددكم بأن رجعت
 الشيخ حافظ من طرف أجرة العلم فأجابني ما عدى فلو لم يرد
 الإمام ونحن نتظن أن أجددكم من طرف أجرة العلم لمن
 تراجع عليه لئله بذكره إذا ما عطينا الأجرة العلم ما تستغل
 العلم وشغل بوقف الأمر أجددكم وصيومت استغلتا عشرة
 فله للمدفع الكبير عشرة قنول رضا عفو يكون معكم بدي
 والله يوفقكم

عليكم
 عبد الله بن زكي

(12)

[illegible]

والله اعلم

[illegible]

فهرس الموضوعات

- مقدمة الطبعة الثالثة ٥
- مقدمة الطبعة الأولى ١٠
- يوم وملك ١٩
- الملك عبدالعزيز وجهوده ٣٠
- الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ٣٧
- الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ٥٧
- اليوم الوطني والقفزات ٧٨
- اليوم الوطني مرصد للتقدم ٨٤
- جهد عبدالعزيز وجهاده ٩١
- الملك عبدالعزيز ٩٦
- تراث وإرث نعتز به ١٠٦
- اليوم الوطني بزوغ فجر ١١٣
- اليوم الوطني راية رفعت ١٢٤
- الملك عبدالعزيز لم يذره ربه فرداً ١٣٠
- اليوم الوطني صدى كفاح ١٥١
- اليوم الوطني ذكرى بهجة ١٦٢
- الملك عبدالعزيز رمز الوطن الحبيب ١٦٧
- اليوم الوطني إشعاع وضياء ١٧٩
- الملك عبدالعزيز فريد بين الرجال ١٩١

○ لسراة الليل هتف الصباح..... ١٩٧

○ سؤال وجواب..... ٢٠٦

○ مراسلات الملك عبدالعزيز..... ٢١٥

(١) خطاب الملك عبدالعزيز لوالد: تاريخ: ١٣٤٢/٩/٢٠ هـ..... ٢١١

(٢) ملحق مع خطاب الملك عبدالعزيز..... ٢٢٣

(٣) خطاب من الملك عبدالعزيز لوالد: تاريخ: ١٣٤٤/٤/٤ هـ..... ٢٣٠

(٤) خطاب من الملك عبدالعزيز لوالد: تاريخ: ١٣٤٣/٧/٢٠ هـ..... ٢٣٣

(٥) ملحق خطاب..... ٢٣٨

○ الملك عبدالعزيز ومراسلاته..... ٢٤٢

(٦) خطاب من الملك عبدالعزيز إلى مسفر بن ثعلي: تاريخ:

٢٢ ذي ١٣٤٣ هـ..... ٢٤٦

(٧) خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز: ١٣٤٣/٩/١٩ هـ..... ٢٥١

(٨) خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز: ١٣٤٣/٩/٢٠ هـ..... ٢٥٤

(٩) خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز: ١٣٤٣/٩/٢١ هـ..... ٢٥٩

(١٠) خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز: ١٣٤٣/٩/٢٢ هـ..... ٢٦٠

(١١) خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز: ١٣٤٣/٩/٢٣ هـ..... ٢٦٣

(١٢) خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز: ١٣٤٣/٩/٢٤ هـ..... ٢٦٦

(١٣) خطاب من الملك عبدالعزيز إلى سليمان بن عفيصان:

٢٠/٢/١٣٤٠ هـ..... ٢٧١

○ صور فوتوغرافية للمراسلات:..... ٢٨١

(١) صورة خطاب الملك عبدالعزيز لوالد الإمام عبدالرحمن..... ٢٨٢

(٢) صورة خطاب الملك عبدالعزيز لوالد..... ٢٨٣

- ٢٨٤ (٣) صورة خطاب الأمير عبدالعزيز بن مساعد للإمام عبدالرحمن.
- ٢٨٥ (٤) صورة خطاب الملك عبدالعزيز لوالده.....
- ٢٨٦ (٥) صورة ملحق خطاب من الملك عبدالعزيز لوالده.....
- ٢٨٧ (٦) صورة خطاب من الملك عبدالعزيز لمسفر بن ثعلبة.....
- ٢٨٨ (٧) صورة خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز.....
- ٢٨٩ (٨) صورة خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز.....
- ٢٩٠ (٩) صورة خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز.....
- ٢٩١ (١٠) صورة خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز.....
- ٢٩٢ (١١) صورة خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز.....
- ٢٩٣ (١٢) صورة خطاب من عبدالعزيز زكي للملك عبدالعزيز.....
- ٢٩٤ (١٣) أ صورة خطاب من الملك عبدالعزيز إلى سليمان بن عفيصان..
- ٢٩٥ (١٣) ب صورة خطاب من الملك عبدالعزيز إلى علي بن اطرير.....
- ٢٩٦ (١٣) ج صورة خطاب من الملك عبدالعزيز إلى عبدالله بن مسعود.....
- ٢٩٧ (١٣) د صورة خطاب من الملك عبدالعزيز إلى كافة أهل القويعية.....
- ٢٩٨ (١٣) هـ صورة خطاب من الملك عبدالعزيز إلى سيف بن وهق.....
- ٢٩٩ (١٣) و صورة خطاب من الملك عبدالعزيز إلى سليمان العريفي.....
- ٣٠٠ (١٣) ز صورة خطاب من الملك عبدالعزيز إلى إبراهيم بن مهنا.....
- ٣٠١ (١٣) ح صورة خطاب من الملك عبدالعزيز إلى عبدالله بن فواز.....
- ٣٠٣ ○ فهرس الكتاب.....

فهرس الاسماء والأماكن

- إبراهيم بن مساعد: ٢٦٢، ٢٦١ ○ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري: ٢٠٠
○ إبراهيم بن معمر: ٢٢٧ ○ عبدالعزيز بن مساعد: ٢٣٠، ٢٣٢
○ أردشير: ١١٢، ١١١ ○ الإنجليز: ٢٢٥، ٢٢٣
○ جرمان: ٢٣٤ ○ عبدالله بن جلوي: ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٤٠
○ جمال بك: ٢٥٤، ٢٥٩ ○ حافظ وهبه: ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٦٤
○ عبدالله السليمان الحمدان: ٢٦٤ ○ عبدالله بن عبدالعزيز: ٩٩، ١٢٧، ٢٦٦، ٢٦٥
○ حمد الباسل: ٢٢٧ ○ عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد: ٢١٣، ١٦٥
○ الدويش: ٢٣٩ ○ عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد: ٢٣٢
○ ابن رقاد: ٢٢٨ ○ فهد الزومان: ٢٠٦
○ ابن سدحان: ٢٣٠ ○ فهد بن عبدالعزيز: ٩٩، ١١٧
○ سلمان بن عبدالعزيز: ٢١٣ ○ سليمان بن سعد بن عقيصان: ١٢٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٥، ١٨٨، ٢١٣
○ شمر: ٢٣١ ○ فوزان السابق: ٢٢٧
○ صاطي: ٢٣٤ ○ القصيبي: ٢٣٨، ٢٤٠
○ ابن صباح: ٢٢٤ ○ كلال بك: ٢٥١، ٢٥٢، ٢٦١
○ صديق: ٢٦١ ○ لبيد: ١٩٢
○ صقر بويدي: ٢٣٤ ○ مجلس الشورى: ٢٠٧
○ الظفير: ٢٣١ ○ محمد بن عثيمين: ٢٣٧، ٢٤٠
○ الإمام عبدالرحمن الفيصل: ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٣ ○ محمد بن بلهيد: ١٤٨
○ عبدالعزيز زكي: ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٤ ○ مرزوق بن حسين العقيلي: ٢٤٧
○ ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥ ○ مسفر بن حمد بن ثعلي: ٢٤٦
○ المنار (مجلة): ٢٢٧

٢٦٧

- عنيزة: ٢٢٥
- القادسية: ١٩٢
- الكويت: ٢٢٣، ٢٢٤
- مصر: ٢٢٧
- مكة: ٢٤٧، ٢٦٧
- المنطقة المحايدة: ٢٢٤
- جدة: ٢٣٥، ٢٤٧، ٢٥٠
- حنين: ١٩٢
- السلمية: ٢٧١
- شرق الأردن: ٢٢٣، ٢٢٤
- الطعمية: ٢٢٢، ٢٢٤
- العراق: ٢٢٤
- عمورية: ١٩٢



نبذة عن المؤلف :

- ولد عام ١٣٤٤هـ في مدينة عنيزة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية.
- جزء من دراسته الابتدائية بعنيزة وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة.
- حصل على الليسانس من دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٣٧١هـ.
- حصل على الدكتوراه في التاريخ من جامعة لندن عام ١٣٨٠هـ.
- عين في العام نفسه أميناً عاماً لجامعة الملك سعود.
- عين وكيلاً للجامعة عام ١٣٨١هـ حتى عام ١٣٩١هـ.
- درّس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية الآداب.
- انتقل منها رئيساً لديوان المراقبة العامة لمدة عامين ثم وزيراً للصحة ثم وزيراً للمعارف.
- عين في عام ١٤١٦هـ وزير دولة وعضواً في مجلس الوزراء.

كتب صدرت للمؤلف :

- نشر عام ١٣٩٠هـ كتاب الشيخ أحمد المنقور في التاريخ .
- ألّف عام ١٣٩٠هـ كتاب «عثمان بن بشر» .
- ألّف عام ١٣٩٥هـ كتيب «في طرق البحث» .
- طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك «الظاهر بيبرس» باللغة العربية .
- طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك «الظاهر بيبرس» باللغة الانجليزية .
- حقق عام ١٣٩٦هـ كتاب «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» ونشره .
- حقق كتاب: «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع ابن علي، ونشره عام ١٣٩٦هـ .
- من حطب الليل، نشر في عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .
- ألّف عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م كتاب: «قراءة في ديوان محمد بن عبدالله بن عثيمين» .
- ألّف بين عامي ١٤٠٩ و ١٤١٤هـ كتاب «أي بني» في خمسة أجزاء .
- ألّف منذ عام ١٤١٤هـ كتاب «إطلالة على التراث» في خمسة عشر جزءاً .
- ألّف عام ١٤١٨هـ كتاب «يوم وملك» .